جامعة القادسية
كلية التربية
قسم التاريخ

بحث بعنوان

التوجهات الإصلاحية عند المفكر علي مبارك

الأستاذ المساعد الدكتور
عبد الكريم حسين الشباني

الطالبة
رنا جبوري موسى العيساوي

١٤٣٤هـ

٢٠١٣م

المقدمة :

ظهر خلال القرن التاسع عشر مجموعة من المفكرين العرب الذي قُدر لبعضهم الدراسة في أوربا والاطلاع المباشر على الواقع العلمي والحضاري للتطور والتقدم الحاصل لتلك الدول فكان لذلك تأثير كبير على توجهاتهم الفكرية ، ولان كثرت الدراسات التي عالجت الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي والعسكري للحواضر العربية خلال القرن التاسع عشر ، إلا أن بعض الدراسات افتقرت إلى تناول رواد حركة النهضة العربية في تلك الحقبة ، ويقف في مقدمة هؤلاء الرواد المفكر العربي (علي مبارك) .

ونظرا لاهمية دراسة الفكر الذي يعطي تحليل علمي للواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي خلال الحقبة التي عاشها هذا المفكر ، ولاسيما اذا اخذنا بنظر الاعتبار أن الفكر هو مجمل التحليلات للواقع المعاش ، ومن هنا تاتي اهمية دراسة المفكر العربي علي مبارك .

وتألف البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة ، وتناول البحث موقف علي مبارك من الاصلاح ، وما هو مفهوم الاصلاح عنده ، وكان المبحث الأول بعنوان (مفهوم الاصلاح عند علي مبارك) ، واما المبحث الثاني فقد تناول وسائل وادوات الاصلاح عند علي مبارك التي تتمثل في الترجمة والصحافة والتاريخ .

واعتمدت الباحثة على مجموعة من المصادر تأتي في مقدمتها المصادر الأصلية التي تعد من مؤلفاته ، وهي كالآتي : كتاب (الخطط التوقيفية) ، ويتكون من عشرين جزءً ، وكتاب (علم الدين) ، ويتكون من أربعة اجزاء ، وكتاب (نخبة الفكر في تدبير نيل مصر) ، إذ تمثل مؤلفاته جوهر توجهاته الفكرية ، وكذلك مؤلفات المفكر العربي (محمد عمارة) صاحب الجهد الكبير في مؤلفه (الاعمال الكاملة لعلي مبارك) ، وكذلك كتاب (تقويم النيل) تأليف (امين سامي باشا) الذي يتكون من عدة اجزاء .

واعتمدت الدراسة على الوثائق الرسمية الخاصة بعلي مبارك في محفوظات عابدين ، وكذلك اعتمدت على مجموعة من الكتب المعربة التي افادت الدراسة كثيرا ، ومنها كتاب (لمحة عامة عن مصر) لمؤلفه (كلوت بك) الذي يتكون من جزئين ، وكتاب (تاريخ الاقطار العربية الحديثة) لمؤلفه (لوتسكي) ، وكتاب (الاقتصاد والادارة في مصر في مستهل القرن التاسع عشر) لمؤلفه (هيلين آن ريفلين) .

وكانت الصحافة مصدرا هاما ولاسيما الصحف التي صدرت في عهد (علي مبارك) ، إذ وضحت فكره وتوجهاته الاصلاحية ومهمته بالنهوض بالواقع التعليمي والصحي والهندسي للبلد في تلك الحقبة .

وقد واجهت الباحثة صعوبات كثيرة تكمن في اختيار الموضوع ، ولاسيما أن عملية دراسة موضوع ما بالفكر ليست بالامر السهل ، فضلا إلى صعوبة السفر إلى جمهورية مصر العربية ، إذ أن

حواجز وقيود السفر على العراقيين كثيرة وتكاليفه باهظة ولاسيما مع عدم توفر الامكانيات المادية المطلوبة ، فضلا إلى الظروف التي كانت ولا زالت تعيشها مصر بسبب تغيير نظام الحكم والاضطرابات الامنية التي رافقت هذا التغيير .

الباحثة

المبحث الأول : مفهوم الإصلاح :

الإصلاح (Reform) لغةً : الصلاح ، ضد الفساد ، صَلَح يَصلَحُ ويصلحُ صلاحاً وصُلوحاً ، والاصلاح نقيض الفساد [١] ، اما معنى الاصلاح اصطلاحا فهو : صلح : الصاد واللام والحاء اصل واحد يدل على خلاف الفساد ، يقال صلُح الشيء يصلح صلاحاً ، ويقال صَلَحَ بفتح اللام [٢] .

وقد ورد الاصلاح في القران الكريم في اكثر من سورة كقوله تعالى : ((وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ)) [٣] ، وكذلك في قوله تعالى : ((إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِين)) [٤] ، ويتحدد مفهوم الاصلاح في تعاريف عدة وحسب تجارب الشعوب المختلفة ، وقد تطور مفهومه بتطور الزمن ، فمفهومه في اوربا يمر بمراحل تطورية خلال القرن التاسع عشر ، تمثلت بالتحولات الكبرى التي شهدتها اوربا والتي امتدت من عصر النهضة الاوربية العصر الذي شهد حالة من التجدد وبعث الحضارة الاغريقية وإحياؤها من جديد بعد حقب مظلمة مثلتها القرون الوسطى [٥] .

وقد اتسم هذا العصر بجملة من التغييرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، امتدت من القرن الثالث عشر إلى القرن السادس عشر ، وقد تمثلت في حركات (الاصلاح الديني) [٦] ، و (الاستكشافات الجغرافية) ، و (النهضة الادبية والفنية) ، و (الاتجاهات الاصلاحية في الفكر السياسي) .

وكان عصر التنوير مرحلة أخرى للتحديث في اوربا تمثلت بالتطور الذي وصلت له الثورة الصناعية ، وما آلت إليه من سيطرة الطبقة البرجوازية على الانتاج ، ونمو الراسمالية ، وكذلك تمثلت في الثورة الفرنسية ومفكريها ، وقاد عصر التنوير إلى اهداف تركزت على اهمية دور العقل الانساني وقوته الذاتية [٧] .

واما بالنسبة للدولة العثمانية فقد بدات مطلع القرن الثامن عشر مظاهر الانحطاط تسري في مختلف اركان الدولة العثمانية ، مما قاد رجال الفكر والسياسة إلى البحث عن السبل الكفيلة للنهوض بالدولة ، وايقاف حالة التدهور واعادة قوتها ، فوجدوا في الاصلاح خير وسيلة لعلاج ذلك ، وقد ظهر تياران من المصلحين ، الأول يؤكد على أن العلاج يكمن في تطبيق الانظمة الإسلامية والتقاليد العثمانية الاصيلة ، والثاني يؤكد على أن الاصلاح يستلزم تبني الانظمة الاوربية المعاصرة [٨] .

ونتيجة للنهضة التي تعيشها اوربا والتطور الحاصل فيها في مختلف جوانب الحياة فقد ترجحت كفة التيار الثاني ، وقد قادهم هذا إلى عملية اصلاح للدولة العثمانية الذي اعتمد في بدايته على الاقتباس من اوربا ، واحتل الجانب العسكري مكانة الصدارة ثم الاهتمام بالجوانب الادارية والمالية والقضائية ، وكانت معظم الافكار الاصلاحية مستوحاة من انماط فرنسية متمثلة بافكار الثورة الفرنسية [٩] .

مفهوم الاصلاح عند علي مبارك :

تاثر علي مبارك بحركة الاصلاح والنهضة التي تعيشها اوربا التي عاشها من خلال دراسته في باريس ، فادرك أن تطور اوربا جاء نتيجة لاهتمامهم بالعلم الذي دخل كل ميادين الحياة ، فكان من الطبيعي أن يدعو إلى نقل تلك التجربة إلى بلده مصر ، لكن تلك الفكرة لم تكن ضمن مفهوم نقل كل شيء من الغرب ، بل يجب أن تراعى ظروف مصر كبلد عربي مسلم [١٠] .

وقد ركز علي مبارك على عدة نقاط لنقل الاصلاح إلى بلده مصر اهمها :

١. الدعوة إلى نقل العلم الاوربي إلى مصر :

ففي دعوة علي مبارك للاصلاح التي كرس حياته لتتلقاها مصر منه وتتقبلها وتعمل بها ، بل تسير على نهجها في سياسة ثابتة دائمة ، ونجد ارائه التي امن بها وسجلها في مؤلفاته ، وظل يرددها في صور شتى وفي مناسبات مختلفة ، ودعا قومه إلى أن يؤمنوا بها لاعتقاده أن استقامة حياتهم ، واستعادة مجدهم ، ودخولهم في مداخل الدول القوية ذات السيادة والمنعة في عصرنا الحاضر ، رهين بالاستجابة لهذه الدعوة ، والايمان بهذه الآراء ، والعمل على اساس هذه الاستجابة وهذا الايمان [١١] .

وكانت اعماله كلها مطابقة لما اعتقد من آراء وما دعا من دعوة ، فقد كان معجبا اشد الاعجاب بالحياة العلمية الاوربية ، وما تحقق لاهل اوربا عن طريق العلم والمعرفة من الخير والتقدم ، وقد تكون دعوته ويكون اسلوبه اقوى وأبين في تلخيص هذه الدعوة في كتابة (علم الدين) في دعوته لاهل الشرق لان يتخذوا العلم الاوربي سبيلا للتقدم والقوة والسعادة والغنى [١٢] .

وذكر مبارك أن الاوربيين جمعوا في بلادهم معارف الملل المتفرقة فوق سطح الأرض وفي وسط البحار المتسعة ، فوصلوا بسعيهم واجتهادهم إلى اعلى درجة في التمدن ، حتى صاروا في عصرنا هذا منفردين باكثر الصنائع متمتعين بين جميع الملل بالرفاهية والحرية التامة ، رأيهم أمر نافذ ، وقوتهم ليس لها معارض ولا منابذ [١٣] .

ودعا علي مبارك أهل الشرق لتعلم اللغات الاوربية ومع انه قد تعلم في فرنسا واجاد اللغة الفرنسية إلا انه دعا أيضا إلى تعلم اللغة الانجليزية ، وليس في ذلك شيئا من التناقض اذا نظرنا إلى أن الانجليزية هي لغة العلم والصناعة ، وانه يدعو اليها دعوة قوية ملحة ، كما يدعو إلى المعرفة والبحث عن الاسباب التي تقدمت بها اوربا ، لذلك فهو كبير العناية بعلوم الرياضة من الحساب ، والجبر ، والهندسة ، والكيمياء ، والطب ، والفلك ، والمخترعات الحديثة والنظريات والمبادئ التي قامت عليها هذه المخترعات .

ودعا علي مبارك إلى الصناعة والعناية بها ، كما رغّب ترغيبا شديدا في الجندية وصناعة الحرب ، وازالة ما في نفوس المصريين وما استقر فيها يومذاك من أن الرياسة والصدارة والامارة وقيادة الجند وقف على غير المصريين ، ولا يجب أن يعتقدوا في انفسهم انهم كفؤ لها [١٤] .

ويطمح علي مبارك من خلال هذه الدعوات للعلم والحضارة الاوربية إلى أن يسلك المصريين إلى ذلك سبيلا هينا ، سهلا ، وسطا ، لا طفرة فيه ولا تسرع ، ولا وهن ، فهو يعتمد هنا على الزمن والصبر والمثابرة في تحول هذا الوطن عن آراء الشرف وعاداته ومخلفاته إلى علم الغرب ومبادئه في الحياة والفهم والسلوك [١٥] .

٢. الدولة :

كان علي مبارك واحدا من المفكرين المثقفين المصريين الذين اسهموا في بناء تجربة مصر الحديثة من خلال جهاز الدولة المدني الجديد الذي عرفته البلاد منذ حكم محمد علي سنة ١٨٠٥م[١٦] ، وهناك حقيقة تقول أن جهاز الدولة هذا هو اداة الاصلاح والتقدم والتطور الوحيدة في البلاد حتى سبعينات القرن التاسع عشر ، ولم يكن هناك لمصلح خارج هذا الجهاز يستطيع أن يمارس منه أي دعوة من دعوات الاستنارة والاصلاح من خارج جهازها ، وانما لان الملابسات التي صاحبت البلاد إلى عصر اليقظة والتنوير قد فرضت أن يكون سيرها هذا عبر انجازات جهاز الدولة ، وقد جعلت من جهاز الدولة الاداة الاولى والفعّالة والوحيدة في تحقيق اهدافها في هذا الميدان [١٧] .

وقد عبر عن ذلك الشيخ حسن العطار (١٧٦٦ – ١٨٣٥م) عن طموح القوى الاجتماعية الجديدة إلى علم جديد بقوله : " أن بلادنا لابد أن تتغير ، وان تتجدد بها من العلوم والمعارف ما ليس فيها ... " [١٨] ، وهنا جاءت عبقرية محمد علي ففتحت عبقرية مصر الكامنة كوامنها ، وغدت عبقرية الجندي القادم قوة كبرى تجسدت فيها قوة مصر ، التاريخ والبشر والحضارة والامكانيات ، فبدأ السير لتحقيق الطموح الذي عبر عنه الشيخ (حسن العطار) إذ لم يدع اعداء مصر وكانوا كثيرين امامها طريقا آخر غير طريق اتخاذ الدولة وجهازها اداة وحيدة لتحقيق امالها فخلقوا لها بذلك ملابسات خاصة فرضت عليها طريقا خاصا ومتميزا لبلوغ تحررها وانعتاقها من مجتمع العصور الوسطى والدخول إلى عصر التنوير الحديث [١٩] .

وكانت الدولة العثمانية تريد مصر مجرد ولاية تابعة ، كي تستفيد من خيراتها وتحصل على الجزية ، ولاسيما أن خضوعها يضمن خضوع ولايات المشرق العربي لاستبداد الاتراك ، واما بالنسبة إلى اوربا الثورة الصناعية والاحتكارات النامية تتطلع إلى بناء امبراطوريات في الشرق ، لكي تحقق احلام الاقطاع الصليبيين القديمة لحساب البرجوازية الصاعدة الطموحة .

واما المماليك ، والملتزمون ، ونظّار الاوقاف ، ورجال الطرق الصوفية ، وقطاع كبير من شيوخ الازهر ، فقد اصبحوا بقايا نظام قديم ومخلفات مجتمع بائد وهم اشبه بالثغرات في جسم مصر وعقلها ، يتيحون لفرص لاختراق الغزاة لها [٢٠] .

وقد فرضت الملابسات الخاصة والقاهرة على مصر أن تقيم دولة ، فتنشئ هذه الدولة جيشا كي يكون الاداة الفعالة في اقامة الصناعة والتجارة الوطنية ، وبناء المدارس ، وانشاء المطابع ، ونشر

الصحف ، واقامة اجهزة للترجمة والتاليف والنشر ، وارسال البعثات العلمية وتكوين جيل من المثقفين والفنيين والاداريين والساسة والعلماء ، وتنظيم الري والصرف واصلاح الارض وتنمية المحاصيل وتحديثها [٢١] .

وكان جهاز الدولة جهاز الاصلاح الوحيد القوي والفعّال ، فكان جديرا باستحقاق واهلية أن يمنحه المصلحون ودعاة التقدم كل الاهتمام ، فقد عرفت مصر من خلاله الصحافة ، وارتادت هذا الميدان قبل غيرها من دول الشرق ، واقامة من خلاله المدارس المدنية ذات التعليم المجاني التي تنفق على طلابها في المأكل والملبس والمسكن ، ثم تعطيهم المصروف .

وكذلك انشأت بواسطة مطبعة وحيدة هي المطبعة الاميرية في بولاق ، فاخرجت إلى المكتبة العربية عيون الفكر الاوربي الحديث في طباعة دوّنها الكثير من الطباعة الحالية ، وفي مجلدات تدهش زخرفتها واحجامها والوان احبارها الكثير في الربع الاخير من القرن العشرين ، فوضعت هذه المطبعة في متناول العقل العربي اكثر العلوم والفنون تقدما في اكثر الحضارات تقدما الحضارة الاوربية ، كما بعثت إلى المكتبة العربية كنوزا من تراث حضارتنا القومي والاسلامي ، كما اتاحت الفرص الكثيرة للتاليف والاضافة من قبل الجيل الناشئ من المثقفين ، وفي اقل من اربعين عاما اخرجت هذه المطبعة وحدها اكثر من الفي كتاب ، كثير منها ضخم وفي عدة مجلدات ، في حين لم تخرج المطابع العثمانية خلال اكثر من قرن (١٧٢٨ – ١٨٣٠م) سوى اربعين كتابا اغلبها في الشعوذة والخرافات [٢٢] .

وكان لجهاز الدولة فضلا عن الايجابيات المذكورة انفا الكثير من السلبيات والعيوب ، وكانت له مظالم وتجاوزات من الممكن أن تكتب فيها الفصول وتسود بها الصفحات ، وكان من اهم عيوب الدولة يومذاك ، بل كان عيبها الأول والقاتل انها كانت حكومة فردية ، على النمط الذي ابتلى به الشرق في كثير من عصور تاريخه الطويل ، إذ كان الطابع الفردي طاغيا في اتخاذ القرار وتنفيذه ، وفي اختيار البدائل والمفاضلة بينها ، الأمر الذي جعل للاصلاحات احيانا مذاقا مرا في أفواه المستفيدين [٢٣] .

وكان الكثير من الرجال الكبار من مفكري المجتمع ومثقفيه الذي أسهموا في بناء عصر التنوير من خلال جهاز الدولة ، قد ادركوا هذا العيب ، وابصروا مخاطره التي تهدد كل البناء بالانهيار عندما تحدق به التحديات ، وقد كان الحكم الفردي يحرم التجربة من حب كثير من ابناء الشعب وولائهم لها ، ويحجب عنها حماية المستفيدين الحقيقيين من قيامها [٢٤] .

ومن هنا كان تنبيه هؤلاء الرجال إلى تلك السلبية وذلك العيب وهذه المخاطر على تفاوت في شجاعتهم وصراحتهم والاسلوب المباشر أو الحقيقي الذي استخدموه في النقد والتنبيه ، ومن هنا كان تفاوت المحن والازمات التي مرت بعلاقة هؤلاء الرجال مع جهاز الدولة والخديوي بالذات ، وهنا كان نصيب علي مبارك من هذه الشجاعة قد فاق نصيب الكثيرين من اقرانه ولاسيما أن اسلوبه في النقد قد تجاوز التلميح إلى التصريح ، كما كان حظه وافرا كذلك من الازمات مع جهاز الدولة ، سواء على عهد الخديوي سعيد أو حتى مع الخديوي اسماعيل [٢٥] .

وكانت نظرة علي مبارك إلى جهاز الدولة نظرة علمية واقعية ، فالدولة في احدث التعريفات هي جهاز قهر تمتلكه طبقة اجتماعية أو مجموعة طبقات ، لتسخره في تنمية مصالحها وتحقيق اهدافها ، وقهر المناوئين لهذه المصالح والاهداف ، وما السلطات المتعددة والاجهزة التنفيذية والتشريعية والقضائية المختلفة إلا ادوات تطبيق وتحقيق لهذا الهدف ولتلك الفلسفة التي تمثل فكر الحاكمين [٢٦] .

وتتفاوت اجهزة الدولة في وسائل التطبيق وطرائق تحقيق اهداف الطبقات الحاكمة ، فهناك اساليب خشنة غير متحضرة تتميز بضيق افق اصحابها وانحيازهم للتعسف والجور طرقا لتحقيق ما يريدون ، وهناك اساليب متحضرة تسمح بمقادير متفاوتة من العدل بالنسبة للاخرين ، ويزيد وضوح التفاوت بين هذه الاساليب تفاوت اهداف الحكام بتفاوت المواقع الاجتماعية ، والاهداف الاقتصادية للطبقة التي يمثلها هذا الجهاز ، فقد تكون طبقة اقلية مستغلة وشرهة في الاستغلال ، وقد تكون مصالحها هي مصالح الجماهير العريضة ، فيكون العدل عندها عدلا لاغلبية الناس [٢٧] .

ويعد جهاز الدولة جهاز قهر ولا يلطف من خشونة هذا القهر ويخفف من ثقله على المحكومين إلا ما يخالطه من عدل يستهدف هذا الجهاز تحقيقه ، الأمر الذي يفرض على الوسائل انواعا من التحضر والانسانية في التنفيذ ، وقد كان هذا هو تشخيص علي مبارك لطبيعة سلطة الدولة ، إذ يقول : " أن تفاوت الناس في العقل ، وجودة النظر في صلاح الامة ، والقدرة على ضبط القوى الحيوانية الموجبة للبغي والعدوان ، اوجب استيلاء بعض الناس على بعض ، وسريان القهر بينهم ، حتى نشأ من ذلك التمييز باسم الحاكم والمحكوم ، والمالك والمملوك ، وغاية الأمر أن القهر اذا داخله العدل كان قهرا لذيذا ، وضعف الشعور به ، ولم تكن النفس شديدة الاباء له ، لخفاء الذل فيه ، ولم تكن لشريعة من الشرائع أن تبطل ذلك الأمر وتبعث على اهماله ، لما في تركه من الفساد العظيم " [٢٨] .

ويتقدم علي مبارك على درب نقد الدولة خطوة أخرى ، فينتقد بطريق يكاد يكون مباشر السلطة المطلقة للحاكم ، والسلطان غير المقيد بالقانون والدستور والشورى ، وذلك عند حديثه عن انواع الحكومات فيقسمها إلى جمهورية وملكية ، ثم يقسم الملكية إلى : ملكية مقيدة ، وملكية مطلقة ، فيزكي المقيدة ويعيب على المطلقة أن الهوى والغرض الذاتي هو الحاكم على المحاكم فيها .

ويقول علي مبارك : " أن الحكومة تنقسم إلى صورتين [٢٩] : الاولى : الحكومة الجمهورية : وهي أن يكون الحكم مفوضا لمجلس مركب من اعضاء تنتخبهم الرعية ، لادارة امور المملكة تحت قوانين يلزمهم العمل بها وعدم الخروج عنها ، والثانية : السلطنة والحكومة الملكية : وهو أن يكون زمام الحكم والتدبير والامر والنهي بيد شخص واحد وهو الملك ، وهذه أيضا تنقسم إلى قسمين : مقيدة ومطلقة ، لانها اما أن يكون الملك مقيدا بقوانين وشرائع لا يستطيع الخروج عنها إلى هوى نفسه ، وهي الحكومة الملكية المقيدة ، واما أن يكون غير مقيد بشيء من ذلك يحكم برأيه ، ويتصرف بهوى نفسه ، فيكون رايه شريعة المملكة ، وحكمه قانونها ، وهي الحكومة الملكية المطلقة " [٣٠] .

وكتب علي مبارك هذا الكلام في عهد الخديوي سعيد في مصر ، ونشره في مصر في عهد الخديوي توفيق ، وفي عهد الخديوي اسماعيل كتب في كتابه (نخبة الفكر في تدبير نيل مصر) وهو الكتاب الذي سبب له ازمة مع جهاز الدولة والخديوي فقد فيها كل مناصبه لمدة من الزمن ، فكتب عن الاصول الضرورية لتحقيق السعادة في المجتمع ، فلخصها في اصلين رئيسين هما : العمل ، والعدل المترتب على تقييد السلطة الحاكمة بالقانون ، فبالعمل تتحقق الثروة ، وبالعدل تصل الثروة إلى العاملين فيتحقق الهدف السامي من وجودها [٣١] .

وضم الكتاب (نخبة الفكر) الكثير من الانتقادات لسلطة الدولة بعد عهد محمد علي قد احدث له ازمة حادة مع الدولة افقدته كل مناصبه الوزارية ، فقد كان الحزب الذي يكيد لعلي مبارك عند الخديوي بزعامة إسماعيل صديق المفتش كان في نظر علي مبارك حزب الجهلاء ، فهو مصري مثلهم ، بل اشد سمرة منهم ، ولكنه يمتاز عنهم بأنه عالم ومثقف ومفكر [٣٢] .

ويرى علي مبارك أن تقييد السلطة بالقانون وتقليد المناصب الحاكمة للعلماء والخبراء سيفتح باب الحرية في المجتمع واسعا امام المواطنين ، وهو الأمر الذي حبذه علي مبارك ، فقد حدثنا عن ما تتمتع به باريس فيقول : " فلقد كانت باريز على غاية في التقدم وكثر به المؤلفون ، ورحل اليها كثير من أهل اوربا ، وخفف فيها شأن العقوبات ، فكان كل انسان يتكلم بحرية ويكتب ما يشاء من احوال الخلق ، سواء كانت خصوصية او عمومية ، سياسية أو دينية ، وظهر فيها رجال ذوو افكار ، فالفوا كتبا انتشرت في سائر الاقطار فانجلت عنهم غياهب الجهل وتميزوا على غيرهم بالعقل " [٣٣] .

ويتضح مما قد سبق الفكر النظري والعام عند علي مبارك في الدولة والسلطة والسلطان ، وضد السلطة المطلقة والفردية ، وهو فكر نظري صاغة في ظل تجربة سياسية تميزت الدولة فيها بالجنوح الشديد إلى حكم الفرد ، ومن ثم فلابد وان يحسب لعلي مبارك اسهاما جريئا في نقد سلطة الفرد المطلقة ، ودعوة إلى تقييد سلطان الحاكم وسلطته بالقانون [٣٤] ، وتاسيسا على ما تقدم أن مفهوم علي مبارك للدولة ودورها انطلق من المفهوم الاوربي لها كما عاشه في فرنسا في الدعوة إلى محاربة الحكم المطلق والفردي وتقييدها بالدستور والقانون ، لان الدستور هو الحامي الشرعي لاستمرار الدولة واستقرارها ومن ثم تحقيق هدفها ، وقد سجل علي مبارك نقده الشديد للسلطة الحاكمة في ولايات الشرق ويقصد بها التابعة للحكم العثماني .

٣. التعليم :

سبق علي مبارك متنوري المرحلة آنذاك ، فهو يعد واحدا من كوكبة المفكرين والمثقفين المصريين الذين اسهموا في بناء تجربة مصر الحديثة من خلال جهاز الدولة المدني الذي كان اداة التنوير والاستنارة والتقدم والتطوير الوحيدة في البلاد المصرية [٣٥] ، ويرى علي مبارك أن اصلاح التعليم هو خير انواع الاصلاح ، بل هو خير من الاصلاح السياسي ، كما اكد على أن الاصلاح السياسي ما لم يرتكز على الاصلاح التعليمي فلا بقاء له ولا قيمة لذلك [٣٦] .

وكانت رغبة علي مبارك في اصلاح التعليم مستندة إلى دعامتين ، الاولى : إحساسه بان التعليم يجب أن يكون من متطلبات البيئة ويساير حاجتها ، والثانية : إحساسه بان التعليم يجب أن يكون شعبيا – أي غير خاضع لسلطات الحكومة – فعد التعليم كالماء والزاد فقال في ذلك : " فالخلق مفتقرة إلى العلم في سائر البلاد كافتقار الظمآن إلى الماء " [٣٧] ، كما نبه إلى اهمية الكتاب والمطالعة ، فكان يرى في المطالعة انها : " تزيد البركة في العمر ، وان قلة الاطلاع بمنزلة قصر العمر " ، وكان علي مبارك من الداعين إلى اهمية الكتاب والمطالعة ، وعمد علي مبارك إلى انشاء دار الكتب عام ١٨٧٠م التي وصف مشروع انشائها قائلا : " من انفع التجديدات التي حدثت في عهد الخديوي اسماعيل ، وحصل به النفع العام للخاص والعام " [٣٨] .

ويعد علي مبارك رجل التعليم في مصر ، إذ أن نظارة المعارف عرفت اوج ازدهارها في عهد الخديوي اسماعيل سنة ١٨٦٨م ، وان علي مبارك تولى منصب نظارة المعارف في ١٥ ابريل سنة ١٨٦٨م ، إذ تولى نظارتها اربع مرات إلى سنة (١٣ مايو سنة ١٨٩١م) ، وكان آخر عهده بها ، ففي المدة التي سبقت تولي علي مبارك نظارة المعارف كان طابع التعليم في مصر باستثناء الازهر اما حربي أو عملي وثيق الصلة بالتعليم الحربي .

وكانت المدارس الخصوصية (دون العالية) هي : الطب البيطري ، والبيادة ، والسواري ، والمحاسبة القبطية والزراعة ، وكانت المدارس العالية هي (الطوبجية) و (اركان الحرب) ، و (المهندسخانة) ولا توجد مدارس للعلوم الانسانية في مختلف مراحل التعليم [٣٩] .

وشهد التعليم العالي في بداية تولي علي مبارك نظارة المعارف اهتماما وحقق نهضة ، وظهرت إلى حيز الوجود مدارس العلوم الانسانية مثل (مدرسة الادارة) ، و (الحقوق) سنة ١٨٦٨م ، و (مدرسة اللسان الحبشي) سنة ١٨٦٨م، و (مدرسة اللسان المصري القديم) سنة ١٨٦٩م ، و (فرقة الرسم بالمدارس الملكية) ، و (فرقة النقاشين) ١٨٦٩م ، و (دار العلوم) سنة ١٨٧٠م ، و (الالسن) (قلم الترجمة) سنة ١٨٧٨م [٤٠] .

ولم يكن اهتمام علي مبارك بالتعليم العالي على حساب المتوسط (التجهيزي) أو الابتدائي ، كما لم يهتم بجانب ويهمل الآخر ، فعنايته بالعلوم الانسانية لم تقلل من عنايته بمدارس العلوم العملية ، فهو

الذي اقام (مدرسة العمليات الجهادية) ، و (مدرسة العمليات الملكية) ، و (فرقة التلغراف) ، وكذلك جملة فرق متنوعة أخرى مثل (كالمساحة والمحاسبة) سنة ١٨٦٨م ، و (فرقة عمليات المرور) سنة ١٨٧٠م ، وبذلك يتفق مجموعة من المؤرخين على تسميته بـ (ابو التعليم الصناعي) ، فجميع المدرس الصناعية التي انشأت في مصر منذ توليه نظارة المعارف سنة ١٨٦٨م حتى وفاته قد انشأت في زمن نظارة للمعارف فقط ، فلم تقم في مصر مدرسة صناعية واحدة إلا في سنة ١٩٠٢م ، أي بعد وفاته بعشر سنوات [٤١] .

واما بالنسبة للريف فقد وجه عناية الدولة للاهتمام بالتعليم في الريف بعد أن كان مقتصرا على العاصمة وبعض المدن الكبرى ، فقام بتحويل المكاتب الاهلية في القرى والريف وكان عددها (٥٠٠٠) مكتب إلى مدارس ابتدائية نظامية ، وهيأ لها سبل اداء رسالتها ماديا وادبيا ، وتوسع في عددها بالمدن الاقليمية بالبلاد ، وانشأ للمكاتب الاهلية ادارة خاصة بها في ديوان المدارس سنة ١٨٧١م ، كما واجرى احصاء للمتعلمين يومئذ فوجد نسبتهم ٥% [٤٢] .

ولم يقف علي مبارك من هذا الأمر مكتوف الايدي وانما قدم طلبا إلى الخديوي بضرورة التبرع من املاكه الخاصة لاجل التوسع في التعليم ، فصدرت اوامر الخديوي في (٢٥ ربيع الأول سنة ١٢٨٨هـ / ١٤ يونيو سنة ١٨٧١م) بتخصيص عشرة الاف فدان من اطيان الميري ، وعشرة الاف فدان من اطيان الاواسي ، وجميع الاملاك التي آلت إلى بيت المال ، ومبلغ سبعة الاف كيس (٣٥٠٠٠ جنية) للمكاتب الأهلية [٤٣] .

وتاسيسا على ما تقدم فقد ظل اهتمام علي مبارك قائما وسعيه دائبا لتنظيم هذه المكاتب وتحديثها ، فقد طلب في مذكرة إيضاحية قدمها عن التعليم في مصر في (٢٤ جمادي الآخرة سنة ١٣٠٧هـ/١٥ فبراير سنة ١٨٩٠) أن يقوم مكتب نظامي ابتدائي من الدرجة الثالثة في كل بلد لا يزيد تعداد سكانه عن (١٠٠٠ نسمة) ، ومن الدرجة الثانية اذا زاد عدد السكان عن (١٠٠٠ – ٥٠٠٠ نسمة) ، ومن الدرجة الاولى للبلد الذي يتجاوز عدد سكانه الخمسة الاف [٤٤] ، وطالب علي مبارك مجالس المديريات بتدبير المباني لهذه المؤسسات التعليمية والانفاق عليها وصيانتها ، وان تنشأ بدار العلوم فرقة ابتدائية خاصة لتخريج معلمي هذه المكاتب ، واقرت نظارة المعارف مشروعة هذا في (١٣ محرم سنة ١٢٠٣هـ / ١٨ اغسطس سنة ١٨٩٠م) [٤٥] .

ووجه علي مبارك اهتمام الدولة إلى تعليم البنات بعد عام واحد من توليه نظارة المعارف ، ففي (٢٤ محرم سنة ١٢٨٦هـ / ٦ مايو سنة ١٨٦٩م) ارسل الخديوي إلى علي مبارك خطابا قال فيه : " قد اقتضت ارادتنا انه بمعرفتكم يجري انشاء محل مدرسة بجنينة تعليم البنات في ارض الميري المتخلفة من بعد التنظيم في شارع باب اللوق ، فيلزم المبادرة باجراء مقتضى ذلك ، كما هو مطلوبنا .. " [٤٦] ، فمنذ ذلك التاريخ بدأ اهتمام الدولة بالتعليم العام للبنات بعد أن كان تعليمهن مقتصرا على الولادة منذ عهد محمد علي .

وكان علي مبارك يبحث في السبل كافة لتعليم الناس ما هم في حاجة إليه ، فلا يستنكف أن يكون معلما للهجاء ، وقد قام زمنا بتعليم الجنود ، ويقول في هذا الصدد : " كيف لا ارغب انتهاز فرصة تعليم ابناء الوطن " ، كما قال أيضا : " كنا مبتدئين نتعلم الهجاء ، ثم وصلنا إلى ما وصلنا إليه " [٤٧] .

ولم يترك علي مبارك بابا من ابواب المعرفة إلا وكان له فيها ركن ، وكان له فيه اثر من المعارف المدرسية إلى المعارف العامة فالمعرفة التخصصية ، فمن الهندسة المدنية والعسكرية إلى العلوم والرياضيات ، ومن الجغرافية إلى التاريخ ، ومن خواص الاعداد إلى المكاييل والاوزان ، ومن علوم الدين إلى علم الاخلاق والاجتماع ، بل وعلم التغذية وما يتصل بها من معارف طبية ، فقد كان الرجل موسوعيا يختزن قلمه أو تختزن ذاكرته كل ما يقرأ ، ويسوقه احيانا على حاله أو يطبعه بفكره تحمله حقيقة ما إلى فكرة ثم تسوقه أخرى إلى نقيضها [٤٨] .

وكان علي مبارك يكتب للناس كل ما يرى أنهم بحاجة إليه ، ولا يبخل بعلمه على احد ، ولا يمنعه عن راغب ، بل انه ليغذي الناس به ، فيقول في مقدمة كتابه (علم الدين) انه : " راى النفوس كثيرا ما تميل إلى السّير والقصص وملح الكلام بخلاف الفنون البحتة والعلوم المحضة ، فقد تعرض عنها في كثير من الاحيان ولاسيما عند السآمة والملل من كثرة الاشتغال ، وفي اوقات عدم خلو البال ، فحداني هذه الايام نظارتي لديوان المعارف إلى عمل كتاب اضمه كثيرا من الفوائد في اسلوب حكاية لطيفة ينشط الناظر فيها إلى مطالعتها ، ويرغب فيها رغبته في ما كان من هذا القبيل فيجد في طريقه تلك الفوائد ينالها عفوا بلا عناء حرصا على نعيم الفائدة وبث المنفعة " [٤٩] .

وأدرك علي مبارك نعمة التعليم عليه وفضله فيما وصل إليه في وطنه فيقول : " حتى صرت من ابنائه المعدودين ورجاله المعروفين " [٥٠] ، وعليه أن يفي بدينه إليه ، وان كان على يقين من انه وان استوفى الجهد وقضى العمر في خدمته ، ويقول في ذلك : " لم اقم بعشر معشار ما عليّ من واجباته " ، وكأنه كان يريد لكل مواطن أن يكون (علي مبارك) آخر ، فلا يكتفي بافتتاح المدارس أو اعداد المعلم الصالح ، أو تيسير وسائل الثقافة للجميع ، بل يلج ميدان التاليف لنرجى إلى الناس علمه ومعرفته ، ويدلي اليهم برايه وفكره ، فكانت اكثر كتبه مدرسية كتبت للمدارس أو للمبتدئين في دراسة العلوم الهندسية أو لنشر البسائط العلمية التي يحتاجها الناس في حياتهم ، اما القليل منها فهي الاثر الخالد لجهده العلمي ، ومن هذه الكتب المدرسية بترتيب ظهورها هي كالاتي :

١. تقريب الهندسة
٢. حقائق الأخبار في اوصاف البحار
٣. خواص الاعداد
٤. تنوير الافهام في تغذية الاجسام

٥. تذكرة المهندسين وتبصرة الراغبين

٦. حروف الهجاء والتمرين على القراءة

٧. الميزان في الاقيسة والمكاييل والموازين

ويعد علي مبارك في مجال التدريب رجل التربية والتعليم آنذاك في مصر ، إذ كان يفكر في هذا الحقل تفكير أصحاب الرسالات ، فهو يدرك المصاعب والعقبات التي تواجهه ، وكذلك يعي ضرورة الصبر من اجل الوصول إلى الغاية المرجوة وذلك لان التربية عنده عملية تطور اجتماعي يزيد بكثير عن محو الامية وتعليم القراءة والكتابة ، ولذلك فان التربية من الامور الصعبة التي يلزم لها زمنا طويلا لكي ترسخ ، إذ أن هناك عادات وتقاليد واعتقادات سائدة في المجتمع ، ولا يمكن تغييرها بسهولة بمجرد حلول افكار واعتقادات جديدة ، وانما يلزم لها مدة طويلة لكي تستطيع الامم استيعابها وتطبيقها ومن ثم نبذ الافكار والاعتقادات القديمة [٥١] .

ويمكن القول أن عملية التربية والتعليم عنده عملية تنموية اجتماعية شاملة ، وهي تحضّر وحضارة يلزمها زمن حضانة العلم اللازم لنضج ثمراته ، وليست قراءة وكتابة كما يراها الاخرون ، بل هي بالدرجة الاساس المعلم القدوة والمقتدر على اجتذاب تلاميذه في شوق ورغبة إلى معرفة عالم العلم الجديد [٥٢] .

٤. المجتمع :

أن المجتمع الفاضل في رأي علي مبارك هو مجتمع العلم والعدل ، لان حياة الإنسان الروحية من حيث التدين متدرجة ولاسيما اذا كان مستنيرا بريئا من الخرافة في اطار العلم ، فبالعلم يحقق الإنسان كجنس ثراء الدنيا والاخرة ، اما العدل فانه الضمان كي يكون هذا الثراء في الدنيا عائدا إلى مستحقيه وصنّاعه ، كما هو الحال مع ثراء الاخرة الذي يحكم في المولى سبحانه بالقسطاط المستقيم .

ويعد العدل عند علي مبارك نسبي ، وهو في ذلك متفق مع كل المفكرين والباحثين ، وهو يدل على عدل المرحلة التاريخية التي عاشها ، والمجتمع الذي القى بثقله كي تعيشه مصر والشرق في ذلك الحين مرحلة التحول من اقطاع العصور الوسطى وتخلفها وظلماتها إلى المجتمع البرجوازي الحديث والمستنير بكل ما كانت تبشر به الطبقة الوسطى من صور مجتمعها البرجوازي الجديد والمنشود ، فقد كانت تلك أحلام المستنيرين ودعاة التقدم في مجتمع لم يكن الفكر الاشتراكي أو تطبيقاته قد أصبحت فيه بعد قضية مطروحة على الناس والحياة [٥٣] .

وقد صوّر مفكرنا الكبير علي مبارك هذا المجتمع المنشود في صورة حديثة لمجتمع (المدينة الفاضلة) الذي كتب عنه (أبو نصر الفارابي) (٢٦٠ – ٣٣٩هـ / ٨٧٤ – ٩٥٠م) ومن نحا نحوه من المفكرين القدماء ، ويعد العَالَم في فكر علي مبارك كما هو عند أصحاب (المدينة الفاضلة) " شخص واحد ذو اعضاء " ، وفي هذا العالم مصالح خاصة ومصالح عامة ، ولابد من تقديم المصالح

العامة على المصالح الخاصة ، ولاسيما وان المصالح العامة اذا دققنا النظر فانها تتضمن في داخلها المصالح الخاصة ، وعلى الموقف من هذه القضية ، قضية العلاقة بين المصالح العامة والمصالح الخاصة ، وتغليب أي منها على الاخرى يتوقف الصلاح والفساد في هذا العالم [٥٤] .

وحول هذه العلاقة تحدث علي مبارك قائلا : " فاذا نظرنا في احكام المصالح العامة وتاييدها وتمتين قواها كانت المصالح الخاصة تابعة لها ، جارية على منهاجها ، ومتى كان النظر مقصورا على المصالح الخاصة نجم الفساد واستحكم ، ولم يتم امر مصلحة ، لما يكون في الاستئثار من المباغضة والمشاحنة " [٥٥] .

ويضيف علي مبارك : " ولكي يتحقق هذا المجتمع القانوني الملتزم بالقانون فلابد أن يكون الحاكم والمحكوم امام هذا القانون سواء ، بل وان يكون خضوع الحاكم للقانون مقدما على طلب الخضوع له من المحكوم ، فالواجب على ولاة الامور أن لا يقطعوا في حكم إلا من القانون ، ولا يكفي أن يحكم القانون إذ لابد أن يكون هذا القانون عادلا ، لانه بغير العدل لا يتم صلاح ، وهذه الصفة اكمل الفضائل لشمول اثرها ، وعموم نفعها ، واليها الاشارة بقوله (صلى الله عليه واله) : (بالعدل قامت السموات والارض) ، إذ لم يخلق الله تعالى احلى مذاقا من العدل [٥٦] .

ويقول علي مبارك : " أن ادارة الاعمال الدنيوية محتاجة إلى عملين ، عمل بالابدان ، وعمل بالارواح ، وقد فاوت الصنع الرباني بين الناس فجعل بعضهم اذكياء ، والبعض اغبياء وكفل بعضهم بعضا ، فكان اشتغال اذكياء الناس بالفكر في مصالحهم وتدبير ما تحسن به احوالهم ، فلزم في مقابلة هذه الخدمة الروحانية أن يخدمهم بقية الناس بابدانهم ، ويريحهم من تجشم الكلف في تحصيل مؤنهم ، فظهر الفقر والغناء ، وبموجب ذلك نجم بينهم التحاسد والتباغض والتعادي " [٥٧] .

ويقسم علي مبارك العمل إلى :

١. فكري ويدوي : ويرى في ذلك المنشأ للتفاوت الطبقي ويسمى الطبقة (وظيفة) .
٢. كذلك يدعو إلى أن تكون المفاضلة والتقدم والتاخر بناءً على العمل ، وفي داخل اطار (الوظيفة) أي الطبقة ، ولا يصح أن يمد أهل طبقة عيونهم إلى ما تتمتع به أهل طبقة أخرى.
٣. والحارس لذلك هو جهاز الدولة وقوانينها الوضعية ، ولما لم تكن في كبح جماح التحاسد والتباغض والتعادي جاءت القوانين الدينية ووعاظها والداعون إلى الزهد وذم الدنيا ، فكرسوا جهودهم ، ليثبت أهل القلة على اشغالهم الشاقة ، ويكفوا عن معارضة المكثرين ومضاربتهم " [٥٨] .

ولا يرى علي مبارك في هذا المجتمع الذي يصوره هذا النص ، العدل الذي تحدث عنه ودعا إليه ، لانه يرى أن وجود جهاز الدولة بمؤسساته القمعية القهرية ، ويرى في استعانة الجهاز بمؤسسات الوعظ والزهد وذم الدنيا الدليل على اقتصار العدل والإنصاف ، ويقول : " أن الناس لو انحازوا إلى العدل وحققوا الانصاف لما احتاجوا إلى اجهزة القمع هذه ، ولو سلك الناس سبيل الانصاف لم يحتاجوا إلى شيء من

ذلك " [٥٩] ، وكان المصلحون في هذا المجتمع يتطلعون إلى التقدم والى اسهام أصحاب رؤوس الاموال والمدخرات في تكوين الشركات المساهمة لتصنع في اقتصادنا ما صنعت مثيلاتها في اوربا البرجوازية ، ودعا علي مبارك إلى أن تسلك مصر ذلك الطريق ، ومارس عمليا وضع هذه الافكار في التطبيق عندما تولى نظارة الاشغال ، فان الرجل وهو يختار هذا الموقف الاجتماعي ، ويدعو إلى مجتمع برجوازي جديد يعلي من قيمة العمل وينشد قدرا من العدل النسبي في اطار طبقات تتخذ من العمل والحرف والصناعات مجالا لتنافسها [٦٠] .

وكان علي مبارك مع مصلحي عصره والجيل المستنير الذي بدأ برفاعة الطهطاوي قد رأوا في المجتمع البرجوازي المستنير المهمة التي يجب الكفاح من اجل الانتقال بالبلاد اليها ، لان النجاح فيها يعني التخلص من بقايا العصور الوسطى ، وتحقيق النموذج الاوربي سواء في التنمية الاقتصادية أو الاجتماعية أو في الاستنارة والتنوير دونما تعارض مع المواريث والموروثات الثانية وغير الدخيلة في تراثنا الفكري والديني [٦١] ، واما موقف علي مبارك من المراة فقد وقف موقف رجل الدين المسلم المتنور ، في وقت ظهرت فيه آراء تاثرت بالدعوات الغربية لتحريرها من أصحاب الاتجاه الأول من قضية المراة ، وقد سبق رفاعة الطهطاوي كتاب الشرف جميعا إلى الحديث عن قضية المراة تعليما وعملا ، فهو منذ التاريخ الذي كتب فيه (تلخيص الابريز) [٦٢] سنة ١٨٣٠م قد اتخذ موقفا مناصرا لتحريرها من اسر العصور الوسطى ، ولاسيما عندما عرض صورة المراة الفرنسية ، وبدد اوهام عصره ومجتمعه الشرقي حول اقتران التحرر والاختلاط بالانحلال والتخبط ، فقد جاء بعده علي مبارك فكانت روايته (علم الدين) المكان الذي عرض فيه فكره عن قضية المراة ، وهي الرواية التي كتبت في نهاية خمسينات القرن التاسع عشر [٦٣] .

وظهرت في تلك الاجواء التي عاشتها مصر اتجاهات فكرية انطلقت من الخلفية الفكرية والعقائدية لهؤلاء المفكرين العرب من الموقف من المراة ، مثّل الاتجاه الأول الذي وازن بين المفهوم الغربي والاسلامي للمراة ودائما يميل إلى مفهوم الغرب والاسلام للمراة ، منطلقين من أن حريتها وحقوقها قد اقرها الشرع الاسلامي ، في الوقت الذي اخذوا من الغرب بعض الافكار التي هي في جوهرها لا تتنافى مع تعاليم الاسلام ، وكان رائد هذا الاتجاه (رفاعة الطهطاوي) ثم (محمد عبده) ، و (رشيد رضا) ، و (ابن باديس) في المغرب ، و (وعلال الفاسي) ، و (خير الدين التونسي) في تونس [٦٤] .

وكان الاتجاه الثاني متأثرا تأثرا كبيرا بافكار الغرب تجاه المراة ، وباستقراء هذا الاتجاه نجد انه كان يمثل وجهت النظر الغربية عن المراة ، ومثّل هذا الاتجاه (لطفي السيد) ، و (وسلامة موسى) ، و (قاسم امين) [٦٥] ، وانحاز علي مبارك إلى صف تحرير المراة الشرقية وتطويرها في بعض القضايا ، في حين وقف مترددا امام بعض القضايا الاخرى ، ففي القضايا التي انتصر فيها للمراة كان واضحا وصريحا ، اما مواقفه المترددة فقد اختار لتغليف التردد أو لتفادي الحرج وايثار السلامة أن يسوق آراء

الفرقاء المتصارعين حول الصواب في هذه القضايا على ألسنة ابطاله في (علم الدين) ، إذ انه قد وقف إلى جوار حق المراة في التعليم ، بل كان اول ناظرا للمعارف ينهض بافتتاح المدارس الحكومية التي تتعلم فيها الفتيات علوم المنهج العام بعد أن اقتصر تعليمهن على الولادة منذ عصر محمد علي ، و (الشيخ) بطل روايته قد تزوج من فتاة فقيرة غير متعلمة ، فعلمها القراءة والكتابة حتى غدت ندا له في القراءة وتحصيل المعلومات [٦٦] .

ويعقد علي مبارك في روايته مسامرة كاملة (المسامرة الخامسة) ، إذ يدير فيها حوارا بين الشيخ علم الدين وزوجته ، فاذا الآراء الاكثر دقة والأقرب إلى الصواب تأتي جميعها على لسان الزوجة لا الزوج ، وهنا نلاحظ دلالة هذا الموقف على تقدير علي مبارك لعقل المرأة الناضج وكفاءتها اذا هي حصّلت الأدوات وأخذت منها ما يأخذ الرجل [٦٧] ، وقد وقف علي مبارك من هاتين القضيتين من قضايا تحرير المراة (التعليم ، و القدرات العقلية والكفرية) مع التيار التقدمي والثوري والمستنير ، في حين نراه قد وقف موقف المتردد في قضيتي (تعدد الزوجات ، ورفع الحجاب والاختلاط) [٦٨] .

واكتفى علي مبارك من قضية (تعدد الزوجات أو وحدانية الزوجة الواحدة) بعرض وجهات نظر الفريقين دون أن يحسم النزاع الناشب بينهما ، فقد كان لعلي مبارك آراء عن هذه القضية سواء في وضعها التاريخي أو في واقعها الذي كان يجري على ضوئه النقاش ، ومن هذه الآراء :

الراي الأول : يرى فيه أن تعدد الزوجات ليست خاصية اختص بها الشرق ، ولا أمرا انفرد به الاسلام والمسلمون ، بل هو عام ولم يمنعه إلا النصارى فقط ، حتى أن من قبلهم كانوا يجوزون التعدد .

الراي الثاني : اما فيما يتعلق بالاسباب التي ادت تاريخيا إلى تعدد الزوجات ، فيقدم عددا من الاسباب الواقعية والصادقة ، فكثرة عدد النساء عن عدد الرجال بسبب الحروب كانت سببا من الاسباب ، وكذلك رغبة الرجال في تعدد الزوجات كانت سببا آخر .

الرأي الثالث : وفيما يتعلق بموقف الاسلام من هذه القضية القديمة ، فان علي مبارك يرى أن الاسلام قد التزم فيها موقفه المتميز الموقف الوسط ، ففي الشريعة الموسوية كان التعدد مباحا بلا حدود ، وفي الشريعة العيسوية كانت وحدانية الاقتران ، فجاء الاسلام باباحته إلى اربع كموقف وسط بين التقيد بالوحدة وبين الاباحة دون حدود [٦٩] .

الرأي الرابع : يعترف فيه علي مبارك أن الواقع الراهن للمجتمعات الإسلامية قد خرج بهذا الأمر عن حدود النفع والصواب ، وان التعدد غدا مصدرا لفساد اجتماعي تعاني من اثاره هذه المجتمعات .

واما فيما يتعلق بالحجاب فقد عرض علي مبارك نموذجين من الآراء ، الأول : صورة المراة الاوربية المتعلمة المتحررة ، وحجج المستشرق الانكليزي من خلالها ترى الدعوة إلى تحرر المراة من قيود

الحجاب ، ولانخراطها في شؤون في المجتمع جنبا إلى جنب مع الرجل ، والثاني : اختيارات الشيخ (علم الدين) واراءه عن الحجاب الذي يعصم المراة والرجل ويقيد المراة ، ترى من خلاله منطق التيار المحافظ على واقع القرون الوسطى وقيم عصر الاقطاع [٧٠] ، وقد عرض علي مبارك النموذجين دون أن يحسم الموقف أو أن ينحاز لاي منهما ، وعندما يدور حوار بين (علم الدين) وصاحبه المستشرق الانكليزي حول هذه القضية (الحجاب ام الاختلاط) ، نجد علي مبارك يعرض على لسان المستشرق ، حجج المحدثين الراعين لتحرير المراة ، فيقول : " أن التربية هي العاصم للمراة من الزلل ، وهي حصن الشرف ، وليس الحجاب في المنزل ، إذ الحجاب لن يعصم النساء من الرذيلة ، لان صلاتهن بالعالم واهل الرذائل فيه لن تقطعها جدران البيوت ، وليس سوى التربية الحسنة عاصما وحصنا للمحجبات " [٧١] .

وتطرق علي مبارك إلى جانب آخر من المجتمع ، يتمثل (بالدين والحياة) فكان يدعو إلى جعل الدين الصحيح وسيلة من وسائل التربية والتقدم وتطوير الحياة لاهل وطنه ودينه ، فكتب علي مبارك في هذا الموضوع الكثير من المقالات ، ونشرها في مجلة اصدرتها مشيخة الازهر ، وذلك اواخر القرن التاسع عشر ، وكانت تحمل اسم (الازهر) ، إذ دعا فيها دعوته تلك ، وكان فيها عالما دينيا مستنير الذهن ، وداعية مخلصا ، كعادته دائما للتقدم عن طريق العلم ، إذ خصصت مجلة (الازهر) القديمة صفحاتها لرجل التربية والتعليم الأول (المغفور له علي مبارك) الذي كتب بعض المقالات التربوية القيمة ، ومنها مقالة تحت عنوان (مفاتيح الكنوز) [٧٢] ، وجاء في هذا المقال ما نصه : " والله سبحانه وتعالى لم يبح لنا من الافعال إلا ما يهمنا في صلاح ديننا أو دنيانا ، وما لا يهمنا في شيء منهما أن كان فيه ضرر يلحق احدهما فحرام ، والا فتركه والاغماض عنه احق واولى " .

ويذكر علي مبارك قول رسول الله (صلى الله عليه واله) : (من حُسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه) ، ويضيف قائلا : " انه طالما فكرت في الإنسان ومزاياه ، وما اودعه الباري من الحواس المرشدة والنفس المفكرة والعقل المدبر ، والبيان المصور ، واللسان المعبر ، والقوى المنفذة ، والاعضاء العاملة التي يجمعها تصرف في انواع العالم ، وبسط يده على كل الكائنات ، وكان له السلطان الاعظم على ما في الارض ، مع ما به من الضعف وتزاحم العلل والاغراض وكثرة الحاجة وقصر الحركة ، وهو متصرف بجميعها عن وجهتها منحرف بها عما خلقت لاجله ، والباري لم يركب فيه تلك القوى وهذه الالات إلا ليجعلها عوامل تحت سلطة التمييز والتدبير يصرّفانها بمعيار الحكمة في مجاري ثمرات ما احاطه من الكائنات وجعله حوله من كنوز الخيرات " .

ويرى علي مبارك أن على الإنسان أن يعمل طبق ما يحقق حكمة الباري فيه مع انه لم يكلفه أن يأتي إلا بما في وسعه من العمل ، وسخر له ما تعجز عنه قدرته وتقصر دونه همته ، ولم يبق له إلا ما هو بموازاة امكانه كما اشير إلى ذلك في قوله تعالى : ((فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩))) [٧٣] ، وقهر جميع الكائنات وجعلها مادة صنع حواسه التي هي سبل عمله ومجاري تفكيره في هذا العالم ، ففي قوله

تعالى : ((وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨))) [٧٤] ، فالشمس والنجوم والهواء والماء والحيوان والنبات والتراب وسائر الموجودات على اختلاف انواعها وتباين خصائصها مخلوقة ومذللة لفائدة الإنسان ومصلحته ، وقد امن عليه الخالق بذلك في مواضع شتى من كلامه المقدس فقال : ((وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣))) [٧٥] ، وقال تعالى : ((وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢))) [٧٦] ، وقال تعالى : ((وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤))) [٧٧] ، وهكذا مضى علي مبارك يعالج موضوع العقل البشري ، ويرسم سبل الصراط المستقيم كما وضحها الله تعالى في كتابه العزيز ، ولا سبيل إلى الاتيان بالاعمال الحسنة إلا حيث يتثقف العقل بانواع المعارف الحقة ويهذب بالتربية والاداب فاذا تم هذا للمرء اتى باعمال تامة الحسن رائقة الصنع، رائعة الابداع ،

ما وهب الله لامرئ هبةً احسن من عقله ومن ادبه

هما حياة الفتى فان فقدا ففقده للحياة اليق به ! [٧٨]

وتحدث علي مبارك في مقال آخر نشره في المجلة نفسها عن العدل العام ، وكيف انه بالعدل قامت السماء والارض ، فقال : " فبالعدل تخصب الارض ، وتثمر الاموال ، وتنظم الاحوال وتدر الارزاق ، ويزول الشقاق ، وبه يستقيم الدين ، ويقوى حبله المتين ، وذلك أن الشرع لا يحفظ إلا بالسلطان الذي يحرسه ويذب عن حرمه ، كما أن السلطان لا بقاء له إلا بالدين القويم إذ هو طريق العدل المستقيم ،

فالدين بالملك يقوى والملك بالدين يبقى

فاذا قاد الامة راعيها بازمّته ، ونهج شرعته ، اتصلت الاسباب ، وتفتحت الابواب ، وسهل كل عسير في الزمن اليسير ، وراجت الامور ، وذهبت الشرور ، ووافى السرور ، والتأمت القلوب ، وانجلت الخطوب ، وغرست في الافئدة ، وصمدت على مر الايام ، سيرته " [٧٩] ، ويقول علي مبارك : " لا يخفى أن تربية الملل – أي الشعوب – امر صعب يلزم لها زمن طويل لان هناك عوائد قديمة ، واخلاقا راسخة في الاذهان ذميمة ، وافكارا فاسدة ، واعتقادات كاسدة ، فلا تزول بمجرد بعض التجددات ، بل تبقى عند الشيوخ ومن قرب منهم في السن إلى الممات ، بل ربما ورثها عنهم بعض الراشدين من الشبان ، فلا تنعدم بالكلية إلا بعد انقراض جميع هؤلاء أو اكثرهم ، فعلى حكم العقل يلزم التربص إلى انقضاء ثلاثة اجيال ، أي مائة سنة أو مائة وخمسين سنة " [٨٠] .

وتأسيسا على ما تقدم يمكن القول أن علي مبارك يكاد يكون داعية جهير الصوت إلى الحياة الاوربية والى نمط من السلوك الذي يعرفه من حياتهم ، فهو يشرح باسهاب طويل نظام (المسرح الاوربي) ويشيد بفائدته في التهذيب والتربية وضرورته لحياة الناس في الثقافة والترفية والتعليم واتخاذ العبرة ،

وكذلك يشرح بالتفصيل الرضا انماط الحياة الاوربية في الحديث والحركة واللباس ، وادابهم في الاجتماع والطعام [٨١] ، ويمكن القول أن من الدعوات التي يعتقد ان علي مبارك سبق بها عصره هي ثمره من ثمرات تعليمه الاوربي واتصاله بالحياة الغربية ، هو انكاره على أهل الشرق انسياقهم إلى ما يدعوهم إليه (أهل الزهد والورع) من الانصراف عن الجد والكد والعمل الدائب والسعي القوي المثابر [٨٢] .

وكان لهؤلاء الدعاة في القرن الماضي من السطوة والسيطرة على مشاعر الناس وعواطفهم ما لا نستطيع أن ندرك مداه ، لذلك نجد دعوته للتمرد على سطوة هؤلاء وسيطرتهم دعوة قائمة على العبارة اللينة والاشارة البينة [٨٣] ، ودعا علي مبارك إلى فهم الأدب الاوربي ومستحدثات فنونه في الفكر والانتاج الذهني كالقصة والتمثيل ، ولم تكن دعوته إلى هذا الأدب والفن دعوة مجردة ، بل كان يصحبها العمل الجدي ، فنجد في ترجمته (محمد افندي عثمان الونائي) وهو احد معاصريه الذين استكتبهم تاريخ حياتهم وضمنها كتاب الخطط التوفيقية ، نجد في هذه الترجمة أن صاحبها نقل إلى العربية كتاب قصص (لافونتين) المشهور في الأدب الفرنسي وسماه (العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ) ، وهذا الكتاب (لافونتين) كما تعرف قصص صاغها على السنة الحيوان ، كما ترجم الونائي القصة التي عرفها قرّاء العربية بعد ذلك من ترجمة السيد مصطفى لطفي المنفلوطي وهو (بول وفرجيني) وخلع الونائي على بطليها اسمين عربيين طريفين قريبين من اسمي بطليها فسمى ترجمته لهذه القصة (قبول وورد جنة) [٨٤] .

٥. الوطنية :

تعني كلمة وطن اصطلاحا الواو والطاء والنون كلمة صحيحة ، فالوطن : محل الإنسان ، واوطنت الارض ، اتخذتها وطنا [٨٥] ، أن مفهوم الوطن عند بعض المفكرين الذين سبقوه أو الذين عاصروه هو كما يأتي :

- مفهوم الوطن عند رفاعة رافع الطهطاوي : ويعد اول مفكر مصري في العصر الحديث ، إذ لديه البدايات الجنينية لفكرة الوطنية ، فقد تعرض لفكرة الوطنية المصرية في كتابه الأول (تلخيص الابريز في تلخيص باريز سنة ١٨٣٤م) ، وكتب بيتا من الشعر يقول فيه :

لئن طلقت باريسا ثلاث فما هذا لغير وصال مصر [٨٦]

وقد قدم تعريفا للوطن والوطنية يقول فيه : " أن الوطن هو عش الإنسان الذي فيه درج ومنه خرج وجمع أسرته ومقطع سرته ، وهو البلد الذي نشأته وتربته ، وغذاؤه وهواؤه ، ورباه فسيحة ، وحلت عنه التمائم " [٨٧] .

- مفهوم الوطن عند جمال الدين الافغاني [٨٨] : وقد ميز الافغاني بين نوعين من الوطنية ، الأول : وهو الذي رفضه ولم يعرفه ، ذلك المعنى الضيق الذي يجعل صاحبه حبيس اقليم من الاقاليم ، أو متعصبا مفرط التعصب لامة من الامم دون سائر ابناء النوع الانساني على الوجه العموم، والثاني :

وهو الذي امن به ودعا إليه وهو ذلك المفهوم الانساني للوطنية الذي يجعل منها دائرة تسبق دائرة العقيدة الروحية التي تعقبها في الاتساع الدائرة الانسانية الشاملة لمجموع بني الإنسان .

- مفهوم الوطنية عند الشيخ محمد عبده [٨٩] : فهو يعتقد : " أن الوطن في اللغة محل الإنسان مطلقا ، فهو السكن بمعنى أن نقول استوطن القوم هذه الارض وتوطنوها أي اتخذوها مسكنا " ، فالارض المشتركة عند الشيخ محمد عبده هي اساس رابطة الوطن ، وهنا يتفق الشيخ محمد عبده مع رفاعة رافع الطهطاوي بربط حق المواطنة بكفالة الحقوق والواجبات السياسية [٩٠] .

- مفهوم الوطنية عند احمد لطفي السيد [٩١] : فيعرفه على انه : " مركز المصلحة العامة لجماعة متضامنين يشعرون بحاجاتهم إلى التعاون في دفع الضار وجلب النافع وربما صح أن نقول بدل قولنا (مركز المصلحة) انه (آلة المصلحة) ومتى تعطلت الوظيفة في هذا المركز أو هذه الالة فقدها الاسم وبطل التشبث بذكراه " .

- مفهوم الوطنية عند علي مبارك : لم تكن الوطنية عند علي مبارك تعصبا ، ضيق الافق لاقليم من الاقاليم أو وطن من الاوطان حتى ولو كان الوطن هو مصر التي اخلص لها واحبها ، وانما الوطنية عنده موقف يصدر صاحبه من عشق للحضارة فيندفع عاشقا لموطنها ومهدها ، من هنا كانت الوطنية عنده كما تمثلت في حبه لمصر موقف حضاريا ونزعه لا تعصبا ضيق الافق لاقليم من الاقاليم [٩٢]

وتبدو اهمية فكر علي مبارك في الوطنية بوصفه احد مفكري الوطنية في تراثنا الحديث ، اولئك الذين كان الطهطاوي رائدهم في اعادة مصطلح (الوطنية) ثانية إلى ادبنا السياسي وقاموسنا الفكري بعد أن اهملته عصورنا الوسطى ولاسيما (المملوكية والعثمانية) عندما قسمت البشر على اسس دينية ، وأسقطت حدود الاوطان والقوميات والحضارات ، فجاءت هذه المدرسة المستنيرة الحديثة للتحدث عن (الوطن) وعن علاقة (المواطنة) التي تجمع ابناء الامة الواحدة ، وتؤلف بينهم بصرف النظر عن المذاهب والأديان التي يتمذهبون ولها يدينون – فكانت طورنا جديدا في الفكر ، عكس الطور الجديد الذي دخل فيه الإنسان العربي طور العصر الحديث [٩٣] .

ويقول علي مبارك في الوطنية : " أن المدافعة عن الوطن واجبة على العموم لا فرق فيها بين مالك ومملوك وشريف وصعلوك ! ... ولقد صح الحكم بان مصر كانت ينبوع علوم الدنيا ، ومعدن كثير من خيراتها ، وان اهلها هم الذين اوصلوا نوع الإنسان إلى أن تنقاد إليه اثار القدرة الالهية ! ... والمصريون هم اقرب الناس إلى الاصلاح واسرعهم تقدما في سبيل الفلاح ، اذا وجدوا حاملا على ذلك ... وقديما قيل : من علامات الرشد أن تكون النفس إلى بلدها تواقه ، والى مسقط راسها مشتاقة ! " [٩٤] ، ويمكن القول أن الوطنية عند علي مبارك موقف يعبر عنه ويجسده العطاء ، عطاء المواطن لوطنه مهما اختلفت وتعددت صور هذا العطاء ، لانها قد نبعت من العطاء ، عطاء الوطن غير المحدود للذين اقلتهم ارضه واظلتهم سماؤه للمواطنين ، فهي علاقة (جدلية ... متبادلة) ، ومن ثم فانها عنده مرتكزة

إلى فلسفة تحكمها ، بل وتحكم كل ظواهر هذا الكون الذي نعيش فيه ... فبقدر ما تعطي السماء الارض ، تعطي الارض السماء ، وعلى قدر هبة الواهب يجب أن يقدم الموهوب له البديل والمقابل والجزاء ، وهكذا وجبت الوطنية ، أي استحق الوطن أن يسدد له الابناء بعض الدين الذي داينهم به منذ المولد ، بل وقبل أن تشرق عليهم شمس الميلاد ... انها تعبير عن قانون الوحدة والتفاعل والتاثير والتاثر في هذا الوجود ، ويعد علي مبارك الوطنية عطاء تجعل (الوطني) متسقا مع القانون الذي يحكم ظواهر الكون وقواه ومكوناته ، اما غيره فهو الشاذ الناشز ، الخارج عن قانون الحياة والاحياء ، بل وعن سنّة الجمادات والنباتات ، والحنين إلى الوطن مظهر معبر عن هذه القوة التي تمتلك الإنسان قوة (الوطنية) ففي الغربة يهيم الشيخ (علم الدين) عندما يتذكر وطنه ، وليس ذلك بالامر الغريب ، فلقد قيل : من علامات الرشد أن تكون النفس إلى بلدها تواقه والى مسقط راسها مشتاقة ! [٩٥] .

ويضيف علي مبارك في فهمه للوطنية قائلا : " وحتى الذين اصابت الوطنية عندهم العلل والامراض ، فمالوا إلى الغزاة الفرنسيين عندما قدموا تحت قيادة بونابرت سنة ١٧٩٨م فدخلوا تحت طاعة الفرنسيين وانظموا اليهم ، من القبط المصريين ونصارى الشام ومن بقي من المماليك الذين كانوا بمصر قبل دخول الفرنسيين اليها ، ثم رحلوا مع الغزاة المنسحبين سنة ١٨٠١م عندما راوا أهل مصر يتوعدون كل من دخل زمرة الفرنساوية بالقتل وبغيره ، حتى هؤلاء المرضى يلتقي الشيخ (علم الدين) ببعض منهم في رحلته بمرسيليا وباريس فيشهد ندمهم وعودة (الوطنية) صحيحة معافاة إلى قلوبهم وعقولهم فيحدثونه كيف أن حب الوطن لا يبرح من بالنا وافكارنا لا تفتر عن ذكر اهلنا ولو كنا نعلم الغيب لما كان الذي كان [٩٦] .

المبحث الثاني : وسائل الإصلاح عند علي مبارك :

ادرك علي مبارك أن الاصلاح الذي ينشده كان لابد من تحقيقه من ادوات ووسائل يمكن بواسطتها الوصول إلى الهدف المنشود إلا وهو تطور المجتمع ووصوله إلى حالة من التقدم والرقي ، ونتيجة لدراسته في فرنسا واطلاعه المباشر على التطور والتقدم الحاصل فيها ومقارنةً مع واقع شعبه في تلك المرحلة الزمنية في القرن التاسع عشر ، وادرك أن خير وسيلة لتحقيق ما يصبو إليه هو اعتماد ادوات ووسائل يمكن بها تحقيق ذلك الهدف الكبير ، ووجد أن اول تلك الوسائل هو الترجمة ثم الصحافة ثم التاريخ ، وسنتناول هذه الوسائل كاللاتي :

١. الترجمة :

وبدأت في عهد محمد علي باشا ، فقد ادرك منذ اللحظة الاولى أن التطور الذي تشهده اوربا كان نتيجة الإلمام بالعلوم والمعارف الكثيرة ، فقد اتجه محمد علي إلى استخدام الموظفون الأجانب ، ولكنه كان يدرك مدى الاثار السلبية التي يخلفها الأجانب على هيكل الدولة إذ انهم أرهقوا ميزانية الدولة ،

بسبب النفقات التي تنفق عليهم ، فهم يتقاضون مرتبات باهظة كما أن كثيرا منهم يجهلون اللغة العربية فيتعين لهم مترجمون ليكونوا عونا لهم في عملهم [٩٧] .

وراى علي مبارك أن علوم الغرب وحكمته وخططه قد سيطرت كلها أو معظمها في كتبه التي وضعها علماؤه ومؤلفوه ، فكانت الخطوة الاولى أن يمهد السبل لترجمة الكثير من هذه الكتب إلى العربية أو التركية ، ليسهل على ابناء البلاد الاطلاع عليها والافادة منها ، فقد عهد بذلك لكثير من الاجانب بترجمة بعض الكتب ، غير أنهم كانوا يتلكئون أو يهملون عملهم حتى ليتم احدهم عمل ستة اشهر في خمس سنوات [٩٨] ، فاستعان في بادئ الأمر بالايطاليين لان الايطالية كانت لغة المشرق في ذلك الوقت ، ثم بالفرنسية ، فقد ترجمة إلى العربية كتب مدرسية وادبيات فنية ، كما ترجمت الكثير من الكتب إلى اللغة التركية ، وبالرغم من ذلك فقد كان عدد هؤلاء المترجمين قليلا ، وخبرتهم محدودة ، وكذلك عدد الكتب المترجمة لا يفي بالغرض [٩٩] .

وراح مبارك يلتمس طريقة أخرى لينقل بها علوم الغرب إلى بلده ، فاوفد عدد من أهل البلاد إلى أوربا ، ليتمكنوا من الدراسة والاطلاع على علوم الغرب وبلغة البلاد التي يوفدون اليها ، حتى إذا عادوا إلى مصر تمكنوا من الاحلال محل الاجانب في الوظائف المختلفة ، وفي تعليم ما درسوه لابناء امتهم ، وفي ترجمة الكتب الغربية ، ولذلك فقد ارسل محمد علي البعثات إلى اوربا الواحدة بعد الاخرى ، قد عاد الكثير من اعضاء هذه البعثات وافادوا الفائدة الكبرى ، وحققوا اغراض محمد علي وحملوا العبء عن الاجانب [١٠٠] .

وكان محمد علي لا يعهد إلى اعضاء البعثات باي عمل إلا اذا استوثق من مهاراتهم ، وكان مقياسه في ذلك أن يقوم كل منهم بترجمة كتاب في الفن الذي اختص فيه ، واما الذين درسوا الصناعة فكان يختبرهم في اختصاصهم حتى اذا اظهروا مهارة وكفاءة استغنى عن خدمات الاجانب واحل محلهم ابناء البلد في الوظائف ، ولشدة اهتمام محمد علي بهذا الأمر فقد كان يؤكد في رسائله إلى طلاب البعثات على ضرورة ترجمة الكتب التي يدرسونها إلى العربية وارسالها إلى مصر ، كما كان يطلع على التقارير التي تعد عن طلاب البعثات ولاسيما فيما يتعلق باعمال الترجمة [١٠١] .

ونشطت حركة الترجمة بفضل جهود طلاب البعثات ولرغبة محمد علي في معرفة الاوربيين والاطلاع على مؤلفاتهم العلمية والادبية ونشر الحضارة الغربية ، فقد وصف عصره من جهة التهضة العلمية بأنه عصر الترجمة والتعريب [١٠٢] ، وبدأ محمد علي بالتفكير في الناحية الاخرى من الاصلاح فارسل في المدة (١٨٠٩ – ١٨١٦م) بعثات مختلفة إلى ايطاليا ، فالاصلاح يعتمد على ركنين اساسيين في سياسة محمد علي باشا إلا وهما البعثات والمدارس ، فانشأ المدارس الواحدة بعد الاخرى حسب حاجة البلاد لها ، وكذلك تحديد اللغات الاجنبية التي تدرس في هذه المدارس ، والاشارة إلى من تولى ادارة المدارس والتعليم فيها من الاجانب والى جهود كل مدرسة في الترجمة ، ومن هذه المدارس هي [١٠٣] :

١. المدارس الطبية :

كان محمد علي باشا قد بدأ بتشكيل الجيش الجديد بعد عام ١٨١٥م ، فقد اقتدى بالجيوش الاوربية في تشكيل جيشه ، وكانت العادة أن يلتحق عدد من الاطباء بكل فرقة من الجيش ، وان تنشأ لهذه الفرق المستشفيات الثابتة والمتنقلة ، وفي سنة ١٨٢٥م استدعى محمد علي باشا الدكتور الفرنسي (كلوت بك) ليكون طبيبا ورئيسا لجراحي الجيش المصري ، وقد سعى هذا الرجل منذ التحاقه بالخدمة للقضاء على سيطرة الايطاليين واحلال الفرنسيين محلهم [١٠٤] .

ومن المدارس الطبية التي شكلت في مصر هي :

أ- مدرسة الطب البشري : أنشأت سنة (١٢٤٢هـ / ١٨٢٧م) .

ب- مدرسة الصيدلة : أنشأت سنة (١٢٤٥هـ / ١٨٣٠م) .

ج- مدرسة الولادة : أنشأت سنة (١٢٤٧هـ / ١٨٣٢م) .

د- مدرسة الطب البيطري : أنشأت سنة (١٢٤٣هـ / ١٨٢٨م) [١٠٥] .

٢. المدارس الفنية :

أ- المدارس الزراعية : انشأت سنة (١٢٤٨هـ / ١٨٣٣م) .

ب- المدارس الهندسية : وكان اولها مدرسة المهندسخانة بالقلعة ، وقد أنشأت سنة (١٢٣١هـ / ١٨١٥م) .

٣. المدارس الصناعية :

أ- مدرسة الكيمياء : أنشأت سنة (١٢٤٧هـ / ١٨٣١م) .

ب- مدرسة المعادن : انشأت سنة (١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م) .

ج- مدرسة العمليات أو الفنون والصنائع : انشأت سنة (١٢٥٢هـ / ١٨٣٧م)[١٠٦] .

٤. المدارس الحربية :

أ- مدرسة اسوان : انشأت عندما فكر محمد علي بتاليف جيشه .

ب- مدرسة اركان الحرب : أنشات في اكتوبر سنة (١٢٤١هـ / ١٨٢٥م) .

ج- مدرسة البيادة : انشات في الخانقاه في سبتمبر سنة (١٢٣٢هـ / ١٨١٦م) .

د- مدرسة السواري : انشات في الجيزة في ذي القعدة سنة (١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م).

هـ- مدرسة الطوبجية : انشات في طرة في سنة (١٢٤٧هـ / ١٨٣١م) .

و- المدارس البحرية : انشات في عهد محمد علي باشا ولكنها الغيت بعد سنة ١٨٣٦م [١٠٧] .

وبقي الشيء الآخر والمهم الذي اخذ محمد علي يفكر في ايجاد حل له وهو ايجاد المترجمين ، ولم يكن في المصريين من يصلح للقيام بهذا العمل غير (عثمان نور الدين) احد اعضاء البعثة الاولى ، فعينه سنة (١٢٣٧هـ / ١٨٢١م) امينا للمكتبة الموجودة في قصر اسماعيل باشا في بولاق ، وألحق به بعض المترجمين ليترجموا كتب الفنون الحربية وسائر الصنائع ، وبعض التلاميذ ليدرسوا الهندسة واللغات العربية والتركية والايطالية [١٠٨] .

ولم يستطع (عثمان نور الدين) من القيام بهذه الاعمال وحده ، ولم تكن المدارس الجديدة قد انشأت لتخرج من يستطيع الترجمة ، وكان محمد علي يرى أن هناك كتبا اوربية تنير له سبيل الانشاء والتكوين ، ولابد من ترجمتها فاستعان بمن يستطيع الترجمة من السوريين المقيمين في مصر [١٠٩] .

وقد كان للترجمة ثلاث اجيال ، فالجيل الأول يتمثل بالسوريين الموجودين في مصر وهم قليلي العدد ومحدودي المعرفة والخبرة ، واما الجيل الثاني فيتمثل بخريجي المدارس واعضاء البعثات يقوم بالترجمة كعمل اضافي إلى جانب العمل الاساسي وهو التدريس أو الحكم أو العلاج الطبي ، ولهذا كان لابد من ايجاد جيل ثالث متخصص في الترجمة ، فانشات لذلك مدرسة الالسن ، فكان خريجوها الجيل الثالث من المترجمين [١١٠] .

واهم المترجمين السوريين هم: (الأب أنطوان رفاييل زاخور) [١١١]، و(يوحنا عنموري) [١١٢]، و (جورج فيدال) [١١٣] ، و (أوغسطين سكاكيني) [١١٤] ، و (يعقوب) [١١٥] ، و (يوسف فرعون) [١١٦] .

وقد شملت حركة الترجمة مختلف المجالات إلا أن مجالي الطب والهندسة اخذا نصيبا كبيرا في حركة الترجمة ، وكانت بجهود عدد من طلاب البعثة العلمية الذين درسوا الطب والهندسة ثم عينوا كمدرسين ومساعدي مدرستين في مدرستي الطب والهندسة ، ومن أشهر هؤلاء اثنان في مجال الطب هما (علي هيبة ، والشيخ محمد الدشطوطي) اللذين كانا ضمن بعثة سنة ١٨٢٦م إلى فرنسا ، كما أن هناك طائفة أخرى من المترجمين في مجال العلوم الرياضية مثل (محمد بيومي) ، و (إبراهيم رمضان) ، و (احمد دقله) وغيرهم [١١٧] .

وقد نظرت الحكومة المصرية إلى العبء الملقى على عاتق المترجمين المصريين من طلاب البعثات ، فقد قررت انشاء مدرسة للترجمة في سنة ١٨٣٥م سميت (مدرسة الالسن) لتخريج مترجمين كخدمة المصالح والمدارس الحكومية ، كما اوكل محمد علي مهمة الاشراف في هذه المدرسة إلى رفاعة رافع الطهطاوي ، فقد زاد عدد الكتب التي ترجمت في هذه المدرسة حتى وصلت إلى الفي عمل علمي في مجالات مختلفة [١١٨] ، وبلغت الكتب المترجمة في الفنون الحربية والبحرية (١١١) كتابا ، وفي مجال الطب ترجم (٣٤) كتابا ، وفي مجال الطب البيطري ترجم (١٢) كتابا ، وفي العلوم الرياضية بفروعها المختلفة فقد ترجم (٣١) كتابا [١١٩] .

وكان لهذه المدرسة الفضل الكبير في تغذية المثقفين المصريين بمكتبة وافية شملت اهم المراجع الاساسية في التاريخ والأدب والعلوم السياسية ، كما وفرت الحد الادنى من الثقافة للمثقفين ، ورسخت في نفوسهم اهم المبادئ التقدمية التي بنيت عليها الحضارة الاوربية الحديثة [١٢٠] ، ويعود الفضل الاكبر للترجمة على عهد محمد علي الى رفاعة الطهطاوي ، فقد سخر ما تعمله في باريس وما طالعه من كتب العلوم وكتب الرحلات والعلوم الاخرى ، واتصالاته بكبار المستشرقين الفرنسيين امثال (سلفستر دي ساسي – (Silvester de Sact) (١٧٥٨ – ١٨٣٨م) ، إذ سخر ذلك في عمله في مدرسة الالسن [١٢١] ، كما اسهم بترجمة كتب كثيرة ومراجع عدة ، وقام بتصحيح بعض الكتب بعد ترجمتها ، وكان رفاعة قبل أن يعود إلى مصر قد قام بنقل ١٢ رسالة في مختلف العلوم والفنون من الفرنسية إلى العربية [١٢٢] .

واهم الكتب المترجمة كتاب (تاريخ كارل الثاني عشر) ، إذ ترجم إلى العربية سنة ١٨٤١م ، وفي سنة ١٨٤٢م ظهرت ترجمة عربية لكتاب (روبيرتسون – Roberteson) (تاريخ كارل الخامس) ، وفي سنة ١٨٤٩م ترجم إلى العربية كتاب (تاريخ بطرس الاكبر) لـ (فولتير – Voltaire) [١٢٣] .

ويمكن القول أن الحديث عن الترجمة كأداة من ادوات الاصلاح يقودنا إلى معرفة طريقة رفاعة الطهطاوي في الترجمة ، وكيفية تعريب المصطلحات ومن ثم اسلوبه فيها ، فقد امتاز بطريقة جديدة في الترجمة تجاوز بها ما كان سائدا قبله ، إذ كان المترجمون السوريون الذين سبقوه يرافقهم شيوخ الازهر ، لاختيار الالفاظ والمصطلحات العلمية العربية ، وبعد ذلك الاشتقاقات وصياغة الجمل ، وكان الاثنان يجلسان معا ، فياخذ المترجم بترجمة جملة جملة ثم يتبعه المصحح ، ثم يتفقان على الصيغة النهائية للجملة ، لذلك كانت عباراتهم بحاجة إلى الدقة في صحة الموضوع والاسلوب [١٢٤] .

وقد تجاوز رفاعة الطهطاوي وتلاميذه في الالسن تلك الطريقة لما كانوا يتمتعون به من معرفة كبيرة بقواعد اللغة العربية ، واهم ما امتازوا به هو عدم اتخاذهم مبدأ التخصص في علم من العلوم في الترجمة وانما ترجموا لكل العلوم والمعارف ، إلا أن قسما من تلاميذه اخذوا بمبدأ التخصص في الاخير ، ولم يكتف رفاعة الطهطاوي في بعض الاحيان بالترجمة الكاملة لبعض الكتب بل يضيف اليها فصولا من كتب أخرى وكثيرا ما تكون من مؤلفات عربية ، لكي يتمكن من اخراج مؤلف كامل من ناحية الموضوع والمادة العلمية [١٢٥] .

واستخدم رفاعة الطهطاوي طريقة حذف بعض الجمل والعبارات ، وقد تطول إلى المقالات في بعض الكتب التي يجد فيها عدم الدقة العلمية ، والاساءة إلى الاسلام والعرب ، وقد ظهر ذلك في كتاب (قلائد المفاخر في غريب عوائد الاوائل والاواخر) لـ (ديبينج) [١٢٦] ، واستعان رفاعة الطهطاوي في ترجماته بثقافته الواسعة بكتابة مقدمة للكتب المترجمة والتعليق على بعض نصوصها ، وظهر له ذلك في ترجمة القوانين والدستور الفرنسي لكي تعطي المعنى الكامل للقارئ ، إذ لم يكتف بترجمة النص الحرفي لها [١٢٧] .

واما من حيث المصطلحات فقد عانى رفاعة الطهطاوي في كيفية تعريبها للاختلاف الكبير بين اللغتين العربية والفرنسية من حيث الخلفيات الاجتماعية والثقافية ، مما قاده إلى البحث عن سبيل لحل تلك الصعوبة ، فوجد في تكوين قاموس لتلك المصطلحات عن كل كتاب يترجم ، وبدأ بهذا المشروع عند وجوده في فرنسا إلا أن مشروعه لم ينجز إلا بعد عودته إلى مصر ، ونفذه مع ترجمته لكتاب (قلائد المفاخر) [١٢٨]

وتاسيسا على ما تقدم ان تقدم أن حركة الترجمة التي تزعمها رفاعة الطهطاوي قد ساهمت بشكل كبير في ازدهار اللغة العربية وتطويرها ، إذ زودت اللغة العربية بالكثير من المصطلحات الجديدة والمستعربة مما ساعد على نموها وتطورها فضلا إلى العناية والاهتمام بتكوين القواميس لهذه المصطلحات من الفرنسية إلى العربية التي خلقت الحاجة إلى اعادة طبع ونشر القواميس العربية القديمة [١٢٩] ، ونجح رفاعة الطهطاوي من خلال الترجمة في تطويع اللغة العربية للأفكار والتصورات الجديدة وان يقوم بوظيفة (مجمع لغوي) يضع المعاني المستحدثة أو يشتق لها مقابلات عربية ، ويعرب ما يضطر إلى تعريبه من مصطلحات جديدة ، وبهذا وضع الأساس الأول في التطور الحديث للغة العربية [١٣٠] .

ولم تقف جهود الترجمة عند رفاعة الطهطاوي وانما لمع مفكر جديد أعطى حقل الترجمة أهمية كبيرة وعناية فائقة وهو المفكر العربي علي مبارك ، فقد نالت الترجمة من عناية علي مبارك الشيء الكثير من خلال تشجيعه الدائم لحركة الترجمة والتاليف ، فقد كان كثيرا ما يعهد إلى بعض الاساتذة بترجمة بعض الكتب التي يرى فيها فائدة علمية لطلاب العلم ومريديه ، وكان كثيرا ما يشجع على التاليف في بعض النواحي العلمية التي كان يرى فيها النفع نفعا للنهضة العلمية واجلاء لفكرة غامضة أو شرحا لموضوع مفيد [١٣١] .

وانشأ علي مبارك لديوان المدارس مطبعة لطبع الكتب المدرسية لينتفع بها التلاميذ الذين يتبعون الديوان ، وقد ساهمت هذه المطابع في نشر التعليم ، وسهلت نيل موارده لطلابه [١٣٢] ، وشارك علي مبارك في حركة الترجمة مع (محمد افندي ابن احمد عبد الرزاق) فقد ترجما كتاب (خلاصة تاريخ العرب) الذي الفه العالم (سيدو – Sedeillot) [١٣٣] ، إذ ترجم بعض فصوله (محمد افندي ابن احمد عبد الرزاق) أحد المترجمين بقلم الترجمة ديوان المعارف ، وأحد معلمي اللغة الفرنسية في ذلك العهد ، وترجم البعض الآخر وراجع الكتاب كله علي مبارك ، وهذا واضح من مقدمة الكتاب التي قال فيها [١٣٤] : " انه لنفاسة هذا الكتاب اردت نشره بين ابناء الوطن ، فامرت بترجمته وانا ناظر على ديوان المعارف سنة (١٢٨٥هـ / ١٨م) المرحوم محمد افندي ابن احمد عبد الرزاق ، أحد المترجمين بقلم ترجمة الديوان ومعلمي اللغة الفرنسية بالمدراس الملكية المصرية فترجمه ، ثم امرت اساتذة بقراءته فقرءوه واعلنوا بفائدة طبعه ، فامرت بطبعه ، ثم تخليت عن نظارة الديوان فوقف الطبع ، وحفظت الترجمة في الكتبخانة الخديوية ، ثم عدت إلى نظارة الديوان سنة (١٣٠٥هـ / ١٨٨٩م) فوجدت

به ابوابا لم تترجم ، واخرى لم تستوف حقها من الترجمة ، فترجمنا ذلك وصححنا الكتاب ، وقابلناه على الاصل كلمة كلمة ، ثم كلفنا به العالم التحرير الشيخ عبد الله ابن العلامة المرحوم الشيخ السيد الشرقاوي الشرشيمي المتوفى سنة ١٢٨٨هـ ، وامرنا أن ينشئه انشاءً عربيا فصيحا ، فاخذ ينشئ ويقرا علينا ما كتبه بخطه ، ثم صححنا أسماء البقاع والرجال ، وقابلناها على الاصل الافرنجي وسميناه (خلاصة تاريخ العرب) ، فجاء بحمد الله كتابا مبارك الطالع ، ترتاح له المسامع ، كما أن شموس النجاح عليه طوالع ، لم يدع كبيرة ولا صغيرة من تاريخ العرب إلا احصاها ، ولا شاردة من شوارد فضلهم إلا ردها لاهلها وكشف القناع عن محياها مع النزاهة عن وصمة العيب والتبرئة عن مثل ما يأتي به الكثير من المؤرخين رجما بالغيب ، ورجائي به أن يكون لابناء الشرق وعلى الخصوص المصريين دليلا مرشدا يروي لهم من محاسن ابائهم الاولين حديث محمد (ص) لا يزال مدى الايام مخلدا " [١٣٥] ، ويتكون هذا الكتاب من (٣١٤) صفحة من القطع المتوسط ، وطبع في مطبعة محمد افندي بحوش قدم سنة (١٣٠٩هـ / ١٨٩٣م) .

وبذلك أسهمت حركة الترجمة اسهاما فاعلا في نقل علوم الغرب ، وعرّفت الكاتب العربي الناشئ ببعض الفنون الادبية المستحدثة كالمسرحية والقصة ، مما اسهمت في تكوين طبقة الكتّاب المجددين ، كما ترك الكتاب المترجم أثرا في اسلوب التعبير [١٣٦] ، وقد كشفت حركة الترجمة عن امكانيات جديدة في اللغة العربية استفاد منها الاديب بما اوضحت له قدرته على التعبير عن الافكار الجديدة [١٣٧] ، وكانت لحركة الترجمة على عهد طلاب البعثات ايجابيات كثيرة ، إذ أن بعض المترجمين كان يلجأ إلى الحاق معاجم وقواميس صغيرة بالكتب التي يترجمونها إلى اللغة العربية ، لتفسير بعض الألفاظ الغربية والمصطلحات العلمية ، كما كان المترجمون يعمدون إلى المؤلفات العربية القديمة فيستمدون منها العون في ترجمة المصطلحات العلمية ، وما لم يجدوا له مقابلا في تلك المؤلفات عرّبوه وصاغوه صياغة عربية [١٣٨] .

وأدت حركة الترجمة دورا كبيرا في خدمة اللغة العربية ، واخذت هذه اللغة تنمو وتشتد حتى استطاعت بعد زمن قصير أن تقضي على اللغة التركية في مؤسسات الدولة ، ثم تصير لغة الأدب الحي الذي ينبض بالقوة ويعبر عن الحضارة الحديثة [١٣٩] .

٢. الصحافة :

كانت جريدة (الوقائع المصرية) اقدم جريدة للحكومة المصرية أنشأها محمد علي سنة ١٨٢٨م ، وقد قامت فكرة الوقائع على الدعاية الواسعة لمحمد علي وجهوده في سبيل الاصلاح والنهوض في البلاد ، وان كانت تضم موضوعات أخرى كالبحوث العلمية واذاعة أنباء الجيش وترقيات الضباط ، والاشادة بانتصاراتهم [١٤٠] ، وقد عمل في تحرير هذه الجريدة بعض رجالات العصر كرفاعة رافع الطهطاوي ، وادهم بك مدير المدارس ، وقد اقسمتها اللغتان التركية والعربية ، وتغلبت اللغة التركية في البداية بعدها تغلبت اللغة العربية إلى أن صدرت كل منهما في صورة منفصلة ، ثم اختص محمد علي

الجيش بجريدة له سميت (الجريدة العسكرية) ، فما كان للوقائع المصرية من أن تنشر تنقلاته وترقيات ضباطه ، بيد انها لم تلم بكل ما يتصل بحياة جيش يبلغ زهاء ثلاثمائة الف جندي وضابط ، لذلك تم تكوين الجريدة العسكرية التي طبعت في مطبعة ديوان الجهادية في سنة ١٨٣٣م [١٤١] .

وعندما جاء عصر عباس وسعيد اصاب الحياة المصرية من الركود الشيء الكثير ، فاغلق ديوان المدارس واغلقت المصانع والمعامل ، ثم كان من الطبيعي أن تتوقف الوقائع المصرية والجريدة العسكرية [١٤٢] ، فقد لقيت الوقائع من الضيق في عهد عباس ما حجبها عن القرّاء معظم ايام حكمه ، واراد سعيد أن يتخلص من مطبعة بولاق وتكاليفها بعد أن قامت بالاعباء الملقاة عليها خير قيام منذ انشائها متحدية كثيرا من الصعاب ، فلقت المطبعة على عهده عناء اثر في نشاطها واضطرت إلى التوقف من يوليو سنة ١٨٦١م إلى اغسطس سنة ١٨٦٢م [١٤٣] .

وتعطلت الوقائع المصرية سنة كاملة بوقف مطبعة بولاق ثم عادت إلى الحياة مرة أخرى ، واصبحت الوقائع هيئة غير رسمية ، وعندما جاء الخديوي اسماعيل اشترى المطبعة الاميرية من صاحبها ووضع للصحافة الرسمية تاريخا يظهر تاريخها في عهد اسلافه جميعا ، ويجدد مناحيها ، وتعد الوقائع المصرية في عصر إسماعيل سجلا يصور حياة مصر السياسية والاجتماعية في هذا العصر [١٤٤] .

ويرجع اهتمام اسماعيل بالوقائع بسبب مواجهة صحيفة (ليجيت – L Egypte) له فور توليه الحكم ، وكان (نطوان موريس) قد انشاها في الاسكندرية في سنة ١٨٦٣م فاخذت تقاوم افكاره وتسفه مشروعاته وتنبه الاجانب إلى سوء نواياه نحوهم ، فكان الاهتمام بالوقائع المصرية لكي يستطيع الوقوف بوجه (ليجيت) [١٤٥] ، وقد اسهمت عوامل كثيرة في تطوير الصحافة المصرية منها الازمة المصرية العثمانية ، إذ نبهت الراي العام في مصر ، إذ لم تكن الدولة العثمانية راضية عن تصرفات الخديوي اسماعيل فاخذت تندد باعماله لتنال من هيبته [١٤٦] .

وقد اتهمت الحكومة العثمانية صراحة الخديوي اسماعيل بأنه اثقل الولاية بالنفقات الباهظة الناشئة من سياحاته الكثيرة في اوربا ، إذ استنتجت (البروجرية) الفرنسية التي تصدر في مصر من هذا الحادث فقالت : " أن العرب المصريين بدأوا يهتمون بالسياسة وانهم يترقبون الأخبار الواردة من الاستانة ، ويعلقون عليها ويتباحثون في موضوع النزاع ، وبذلك بدأ يتكون الراي العام عند المصريين" [١٤٧] .

وكان لتشجيع الخديوي اسماعيل أثرا في ظهور الصحافة الحرة ، لانه اراد دعم موقفه امام اتهام السلطان العثماني له ، كما اراد من هذه الحرية في محاربة التدخل الاجنبي ، فقد ادت هذه الحرية إلى صدور عدة صحف وصل عددها خلال المدة ما بين سنتي ١٨٧١ – ١٨٨٢م إلى ما يقارب من (٥٨) جريدة ومجلة عربية [١٤٨] ، ووضح الخديوي وجوب الاهتمام بالصحافة واقدم صحيفة مصرية بعد الوقائع هي (يعسوب الطب) وهي مجلة كانت تقصر عنايتها على العلوم الطبية ، ظهرت في القاهرة سنة ١٨٦٥م لصاحبها محمد علي باشا الحكيم رئيس الاطباء في مصر وابراهيم السوقي [١٤٩]،وهي الاولى

من نوعها باللغة العربية ، وكانت تطبع في مطبعة بولاق الاميرية على نفقة الحكومة،ولكن هذه الصحيفة لم تعمر طويلا ، وكانت صدى لنشاط الحكومة في النواحي الطبية [١٥٠] .

ونشأت في عصر اسماعيل الصحافة الشعبية بتوجيه منه ، وتنحصر الصحافة الشعبية في ذلك الوقت في جريدتي وادي النيل ونزهة الافكار ، وجريدة (وادي النيل) وهي مجلة سياسية علمية ادبية انشاها سنة ١٨٦٦م عبد الله أبو السعود ناظر المدرسة الكلية التي اسسها محمد علي باشا في القاهرة ، وكانت تصدر مرتين في الاسبوع ، والحقيقة أن جريدة وادي النيل كانت جريدة شعبية اسما رسمية فعلا ، ويقول الدكتور إبراهيم عبده : " ازدحمت معظم صفحاتها باخبار الخديوي ورجال حكومته " ، ولولا انها اعلنت شعبيتها لظن متصفحها انها صحيفة رسمية ، فهي صورة للوقائع في تفكيرها واتجاهاتها ، يعرف اسلوبها الادبي رواية الخبر ويتعلق محررها بالسجع فهي تحاكي الوقائع وتخطو على اثرها في الشكل والموضوع معا [١٥١] .

وعاشت هذه الجريدة اثنتي عشر سنة حتى تعطلت سنة ١٨٧٨م بوفاة صاحبها ، واما الصحيفة الثانية فهي جريدة (نزهة الافكار) وهي اسبوعية ظهرت في القاهرة سنة ١٨٦٩م ، وقد انشاها إبراهيم بك المويلحي ومحمد بك عثمان جلال ، ولم يصدر منها إلا عددان ثم عطلها اسماعيل بنصيحة شاهين باشا وزير الحربية ، إذ حذره عواقب لهجتها وما تؤدي إليه من اثارة الخواطر وذلك رغم الطابع الادبي الذي امتازت به [١٥٢] .

وقد بدأت الصحافة الشعبية اولا اسمية فقط في وادي النيل وحينما تحولت شعبية حرة فعلا في نزهة الافكار الغاها الخديوي بعد عددها الثاني ، والى جانب الصحافة الشعبية وجدت أيضا مجلة ثقافية انشأها مفكرنا علي مبارك هي مجلة (روضة المدارس) في سنة ١٨٧٠م ، وكان آنذاك مديرا لديوان المدارس ، فهي صحيفة ديوان المدارس تنفق عليها الحكومة ، وكان الغرض من انشائها النهوض باللغة العربية واحياء ادابها ونشر المعارف الحديثة [١٥٣] ، وابتعدت المجلة عن الناحية السياسية كما تذكر المقدمة : " وقد تنزهت صحيفتنا هذه مما سوى ما يخص نشر فائدة علمية ومحمدة اثرية مما يقع عليه الاختيار ولا ضرر فيه ولا ضرار فليس من وظائفها تقييد الاحوال السياسية الوقتية والافعال الرئاسية والادارية " ، واما موضوعات هذه المجلة وكتابها فقد ذكرت المقدمة انه : " قد تكفل لها عدد من العلماء والاساتذة والفضلاء الجهابذة بامداد رسائل مؤلفة جديدة ونبذ مصنفه مفيدة من فنون وعلوم مختلفة ومسامرات من مستحسن الحكايات والأخبار مقتطفة وبعض تراجم من لغات كثيرة واخراجها في قالب سهل من اساليب العربية ، وصار كل منهم يرسم عضو تاسيسي يتشكل به جسم هذه الصحيفة مندوبا من طرف الديوان لرفع شعاراتها " [١٥٤] .

وقد كتب في هذه المجلة الكثير من العلماء منهم (احمد افندي نده) ومجال تخصصه الطبيعة والكيمياء ، و (عبد الله بك فكري) ومجال تخصصه الأدب ، و (المستر بروكش) ناظر مدرسة اللسان الممصري القديم ومجال تخصصه التاريخ القديم ، و (اسماعيل بك الفلكي) مجال تخصصه علم

الفلك ، وقد اسندت رئاسة هذه المجلة إلى رفاعة الطهطاوي ناظر قلم الترجمة بديوان المدارس ، وقد تولى تحرير مجلة (روضة المدارس) علي بك فهمي رفاعة ابن الطهطاوي ، وكان مدرسا للانشاء في مدرسة الالسن وقتئذ [١٥٥] .

وقد احتوت هذه المجلة إلى جانب بعض قصائد الشعر والقصص القصيرة والمقالات العلمية على مؤلفات هؤلاء العلماء تنشر فيها فصلا فصلا ، فاذا اكتملت هذه الفصول كونت كتابا مفيدا في أي علم من العلوم العلمية أو الادبية ولم يظهر فهرست لهذه الموضوعات إلا ابتداء من العدد الثالث ، وقد نشر في العدد الأول من هذه المجلة على سبيل المثال بعض فصول من الكتب الاتية : (حقائق الأخبار في اوصاف البحار) لعلي مبارك ، و (اثار الافكار ونثورة الازهار) لعبد الله بك فكري ، و (الصحة التامة والمنحة العامة) لمحمد بدر افندي مدرس علم الامراض الباطنية بالمدرسة الطبية ، و (المباحث البينات فيما يتعلق بالبنات) لمحمد افندي ندا المدرس بالمدرسة الطبية .

وكانت روضة المدارس ميدانا رحيبا من ميادين الفكر والأدب يتبارى فيه اولئك الأدباء والعلماء بموضوعاتهم الطريفة واساليبهم الرفيعة في الأدب والاجتماع والتاريخ والفلك والرياضيات ، وكانت تصدر حافلة بذلك مرتين في كل شهر ، وكانت توزع مجانا على التلاميذ فعودتهم ملكة المطالعة والبحث ، وفتحت صحائفها للنابغين منهم فكان ذلك يشجعهم ويدفع هممهم إلى البحوث والمجهودات المستقلة عن دروسهم [١٥٦] .

ودأب علي باشا مبارك على أن يضم الكتاب للروضة حتى بعد صدورها ، كما ارسل الديوان إلى المدارس يطلب منها أن يبادر النظار والاساتذة بارسال ما يرون نشره وذلك اولا باول لديوان المدارس ، ويقوم الديوان بارساله إلى الصحيفة [١٥٧] ، وليس ادل على قيمتها الادبية والعلمية من أن يطلب قلم الوقائع من ديوان المدارس نسختين أو ثلاث منها مجانا باسم العلم لأخذ بعض موادها لاعلانها بصحف الوقائع المصرية [١٥٨] .

وكانت روضة المدارس تصدر مرتين في الشهر ويطبع من كل عدد منها ٣٥٠ نسخة زيدت فيما بعد إلى سبعمائة ، وقد استمرت الروضة في صدورها ثمان سنوات افادت فيها ابناء الوطن فائدة جليلة ، فهي اول مجلة مصرية تعنى بالعلوم والاداب إلى جانب العناية بشؤون المدرسين واخبار الامتحانات والحفلات الخاصة بها ، وكذلك الاعلانات عن بيع الكتب وفتح المدارس ، ولاشك أن وجود هذه المجلة في عصر اسماعيل رغم ابتعادها كلية عن السياسة ، فانها كانت لها تاثيراتها الثقافية العميقة على تقديم جيل من القراء والدراسين والباحثين في عصر اسماعيل ، وكان اسماعيل يعتقد أو اواخر عهده أن من الافضل منح الصحافة حرية تامة لتساعده ضد التدخل الاجنبي ، ولم يفكر قط في أن هذه الصحافة ستقوم بنقد تصرفاته الشخصية واسرافه وطريقته في الحكم ، وكانت الصحف في الوقت نفسه تهتم بالسياسة الخارجية وقد ادى ذلك إلى تحطيم الحواجز والسدود امام التفكير المصري السياسي ومكنه ذلك من متابعة الاحداث السياسية العالمية ، وقد ترك اسماعيل الحرية للصحفيين في كتابة المقالات عندما

كان يريد مساعدة من الصحافة ، ولكنه ما كاد يشعر بشيء من استعادة القوة امام الدول الاوربية حتى يصدر امره بمعاقبة الصحفيين واغلاق صحفهم [١٥٩] .

وصرح اسماعيل في مايو سنة ١٨٧٩م بان مجلس النواب ينظر بعين الاعتبار لحرية الصحافة وانها وسيلة الاتصال بالاهالي ، وكذلك سيفتح مجلس الشورى ابوابه امام أصحاب الصحف حتى تصبح اعمال ذلك المجلس ظاهرة امام الناس ، ولكن الظروف السياسية التي ادت إلى خلع اسماعيل وضعت حدا لتلك الغاية التي نادى بها اسماعيل قبل أن يوضع تحقيقها موضع التجربة .

وقد تجاوزت الصحف في عهد اسماعيل الثلاثين صحيفة بين عربية وافرنجية ، وبين جريدة ومجلة ، ومن بينها ما كان له مع الحكومة مواقفا لتاييد أو المناهضة ، بالرغم من الصعاب الكثيرة التي واجهتها ، وبالرغم من التوزيع الضئيل للصحف الواقعة تحت رقابة شديدة ، فان نسخ الصحف كانت تتناولها الايادي ، وسرعان ما استطاع الاهالي معرفة ما يقرؤون بين السطور ، مما ادى إلى نهضة ثقافية واسعة في عصر اسماعيل [١٦٠] .

٣. التاريخ :

يعد التاريخ علم كسائر العلوم الأخرى يعوزه ما يعوز العلوم الاخرى من طب وهندسة وفقه وغيرها، وانه لابد لصاحبه أن ينشأ نشأة علمية خالصة يتربى فيها على الشروط الفنية التي يقتضيها أي علم، اذن التاريخ دراية ثم رواية [١٦١]، ويقوم التاريخ على الاثار التي خلفتها عقول السلف أو ايديهم، فاذا محا الزمن بعض هذه الاثار، أو زلت معالمها فقد محا التاريخ، وكانت كأنها لم توجد وبفقدها يجهل التاريخ عصرها ورجالها، لهذا يرى المؤرخون لزاما في اعناقهم قبل كل شيء أن يتفرغوا للبحث والتفتيش عن شتى الاثار التي تخلفت عن السلف التي نصطلح عليها اسم الاصول[١٦٢].

ويعد رفاعة رافع الطهطاوي خير من اتجه بالكتابة التاريخية بالاتجاه الصحيح في القرن التاسع عشر ، فقد استطاع أن يخطو خطوة كبيرة في طرح المادة العلمية الصحيحة واستخدام المنهج العلمي متجاوزا ما كان سائدا في تلك الحقبة من عصره والحقبة التي سبقته والتي كانت تسودها الخرافات والاباطيل ، لانها كانت تمثل الوثنية في العبادة ، فقد استطاع رفاعة الطهطاوي من أن يتجاوز تلك الخرافات والمزاعم الخاطئة ، وفضلا إلى ذلك فقد تجاوز المؤرخين الذين سبقوه في كتابة التاريخ المصري ، والقائم على كتابة التاريخ بطريقة الحوليات ، إلا أن رفاعة الطهطاوي فهم التاريخ المصري فهما جديدا ، ونظر إليه النظرة الشاملة مدركا أن التاريخ مستمر ، وان الحضارة المصرية سلسلة متواصلة الحلقات [١٦٣] .

واتخذ رفاعة الطهطاوي من التاريخ اداة مهمة ورئيسة من ادوات الاصلاح الذي بواسطته تمكن من اكتشاف الذات العربية التي حققت له اصالته بالواقع وعدم التنكر له ، وعدم الانبهار بأوربا بكل قيمها

وعلومها ، وبالتالي ساعده التاريخ في صياغة وتبلور مفهوم الاصلاح لديه أو الذي قام على اساس التوفيق بين علوم الغرب وتراث وطنه وأمته [١٦٤] ، وقد جاء علي مبارك بعد رفاعة الطهطاوي فنهج المنهج العلمي الذي سار عليه الطهطاوي في كتاباته التاريخية ، فاستطاع علي مبارك من أن يسير على هذا المنوال بعين ناقدة وعقل فاحص والمنهج العلمي في تميز الصواب من الخطأ عندما يعرض لروايات المؤرخين ، مسلحا بالاضافات التي منحها له عصره وميزته بها ثقافته ، وذلك بعد أن احاط باثار من سبقه من كبار المؤرخين الذين كتبوا في مختلف الفروع والفنون التي عرض لها فيما كتب من تاريخ [١٦٥] .

ويتجلى اثر التكوين العلمي لثقافة علي مبارك في دراسته لتكوين وادي النيل في كتابه (نخبة الفكر) فيعرض لنا تكوين وادي النيل بواسطة النهر وطميه على مر العصور ، فيعرض القوانين العلمية والحقائق الجيولوجية المتعلقة بطبيعة التربة ، والمواد التي يحملها ماء النيل في قبضاته ، ويتخذ من كل هذه الحقائق ادوات لتحديد زمن التكوين وأدواره وكيفيته ، فيؤسس النشأة والعمران على حقائق علمية وما اكتشف من نظريات [١٦٦] .

ويمكن أن نضع علي مبارك ضمن المدرسة المستنيرة من المؤرخين الذين اعطوا اهمية كبيرة للعامل الاجتماعي في رصد العوامل المحركة للتاريخ ، فاقترب اقترابا كبيرا من المنهج العلمي والاجتماعي بالتاريخ [١٦٧] ، وقد شهد القرن التاسع عشر بداية ظهور حركات جديدة في مجال الكتابات التاريخية ، وقد لعبت المؤثرات الجديدة دورها في هذه الحركات ، إذ كان الانفتاح على اوربا ، كما كان لظهور الطباعة والصحافة وازدياد انتشار الكتب والتقدم الواسع في علم الاثار وما نجم عنه من ازدياد معلومات المؤرخين ، واشتداد الوعي العربي ، ونمو الشعور القومي اثره الفكري في تشجيع حركة التاليف التاريخي ، فقد تنوعت الموضوعات التاريخية في تلك الحقبة ، وكذلك عودة مدارس الكتابة والتاليف من جديد ، وان رائد هذه الكتابة التاريخية في مصر هو رفاعة الطهطاوي ، إذ كان (الجبرتي) يمثل المدرسة التاريخية في القرن الثامن عشر ، فان الطهطاوي يمثلها بحق في القرن التاسع عشر [١٦٨] .

وأدى الاطلاع الواسع لعلي مبارك على المصادر التاريخية الفرنسية والمترجمة إلى أن يتاثر بموضوعات الكتابة ومناهجها في اوربا ، ويعد كتابه (انوار توفيق الجليل في اخبار مصر وتوفيق بني اسماعيل) اول نقله مفهوم الامة التاريخي لدى المؤرخين المصريين والعرب عامة ، ففي هذا المؤلف واصل الطهطاوي تبيين تاريخ مصر القديم والوسيط والحديث معتبرا اياه حلقة متصلة في سلسلة واحدة من تاريخ القطر المصري ، وحافزا ليقظة الحركة الوطنية في مصر ، فقد اعطى الطهطاوي لسيرة الرسول (صلى الله عليه واله) التقليدية مضمونا جديدا ، ففي كتابه (نهاية الايجاز في سيرة ساكن الحجاز) تحدث فيه عن اسس الحكومة الإسلامية وواجباتها في عصر الرسول (صلى الله عليه واله) بمعنى انه اضاف إلى السيرة بعدا اجتماعيا جديدا بفرضه واقع التطور الحاصل في نظم الدولة في مصر وقتئذ [١٦٩] .

وحتمت التغييرات الاجتماعية التي مرت بها مصر في ذلك الوقت الاستمرار في هذا النهج الذي شرع به الطهطاوي ، فاستمر الاهتمام بتاريخ الدول القديمة السابقة على الاسلام ، واصبحت مصادره هي معطيات علم الاثار بالدرجة الاولى ، وقد ظهر في هذا الاتجاه (صالح مجدي) احد تلاميذ الطهطاوي وتطور بشكل كبير وواضح في كتاب (الخطط التوفيقية) لعلي مبارك ، فتحدث فيه عن تاريخ كل مدينة منذ اقدم العصور ووصف ما بها من مساجد ، وكنائس ، وأديرة ، ومدارس ، وحمامات ... الخ .

وقد ذكر علي مبارك ما اصاب هذه المنشات من تطور خلال العصور ، ولم يجد علي مبارك حرجا في ايراد التفاصيل عن تاريخ مصر القديم معتمدا على ما اصاب علم الاثار من تقدم في ذلك الوقت ولاسيما حل رموز اللغة الهيروغليفية ، وكانت مصادر في هذا ما كان بنشر باللغة الفرنسية فضلا إلى المصادر العربية التقليدية [١٧٠] ، وقد سار علي مبارك المؤرخ على هذا النحو فيما كتب من تاريخ ، ففي كتابه (نخبة الفكر في تدبير نيل مصر) وعلاقتها بنهر النيل والحضارة التي نشأت على ضفافه ، والاطوار التي مرت بها اجتماعيا وسياسيا وحضاريا ، والقاعدة المادية للمجتمع وعلاقتها بالابنية العلوية فيه ، وترى جميع ذلك وحدة موضوعية هي عنده الموضوع الذي يؤرخ له .

وكان لواء الريادة في مدرسة التاريخ الحديث قد عقد للطهطاوي ، فهو قد أرخ في الستينات ، بينما ارخ علي مبارك في السبعينات والثمانينات من القرن التاسع عشر [١٧١] ، ويرى الدكتور محمد عمارة أن علي مبارك قد سبق الطهطاوي بالفصول التي كتبها في التاريخ بكتابه (علم الدين) الذي ألفه في نهاية الخمسينات من القرن التاسع عشر ، فان علي مبارك قد تميز بضخامة ما ترك من اثار فكرية في علم التاريخ ، كما امتاز كذلك بانفراده بالتاليف في (الخطط) منذ عصر المقريزي (٧٦٦ – ٨٤٥هـ / ١٣٦٤ – ١٤٤٢م) حتى القرن التاسع عشر ، بل ولا يزال فريدا ووحيدا في هذا الميدان حتى الان .

ولم ينفرد علي مبارك فقط باقتحام هذا الميدان ، ويتفرد فيه منذ عصر المقريزي ، بل كان اضافة جديدة ومتميزة لمؤرخي (الخطط) في تراثنا العربي وتاريخنا الاسلامي الطويل ، فهو مهندس يحقق بعلم الهندسة اقوال القدماء ورواياتهم عن الاثار والعمائر والمنشات ، وكذلك صاحب حاسة نقدية يقارن بالماثورات ، ويحقق المرويات ، ويرشح اصح الاقوال والاستنتاجات ، وهو شاهد عملي أيضا ، ينزل بنفسه أو بمن استعان بهم إلى ارض الواقع فيحقق على الطبيعة روايات المؤرخين[١٧٢] .

ويعد علي مبارك خير من استفاد من موسوعة (وصف مصر) بعد رفاعة الطهطاوي ، وهذه الموسوعة وضعها علماء الحملة الفرنسية الذين صحبوا بونابرت وجيوشه ، ودونوا فيه بالكلمة ، والرسم ، والخارطة ، تاريخ مصر واثارها وحضارتها ومجتمعها وانسانها منذ اقدم العصور ، بل لجأ إلى علماء اللغة المصرية القديمة فاستفتاهم فيما غمض عليه من بعض وقائع تاريخها القديم [١٧٣] ، ويمكن أن نجد في علي مبارك المؤرخ عددا من السمات التي تجعلنا نضعه ضمن المدرسة المستنيرة من المؤرخين الذين

أعطوا العامل الاجتماعي اهمية كبيرة في رصدهم للعوامل المحركة للتاريخ ، فاقتربوا اقترابا شديدا مما نسميه اليوم بالمنهج العلمي والاجتماعي في التاريخ .

وادرك علي مبارك ادراكا جيدا دور العوامل المادية وفي مقدمتها الضرورات الانسانية في صناعة مظاهر التقدم الفكري والحضاري في المجتمعات ، فالسبب الاساسي والأصلي في انتقال الإنسان بقوة فكره وغزارة عقله ، من حالة إلى حالة ومن فكرة إلى فكرة ، حتى وصل إلى ما نراه اليوم في مختلف فروع العلم والمعرفة ، والسبب الاساسي في ذلك التطور والارتقاء الفكري هو ضرورات الإنسان واحتياجاته وميله لحب الانتفاع والوقاية الشخصية [١٧٤] ، ويرى علي مبارك أن للبيئة المادية وعوامل الاقاليم التي ينشأ ويعيش فيها الإنسان دورا مهما وحاسما في تكوين وتلوين الابنية العلوية التي تحكم سلوك هذا الإنسان بما فيها من الطباع والاخلاق والعادات ، وهو يعد هذه الحقيقة قانونا عاما في جميع جهات الارض لا يتخلف ابدا ، ويقول علي مبارك في هذا الصدد : " وهذا قانون عام في جميع جهات الارض ، فكل سكان بقعة من مبدأ اتخاذهم لها مقرا ووطنا قد تخيلوا حتى اهتدوا إلى ما يوافق احوالهم بالنسبة لهذه البقعة ، ومن ثم كانت الطباع والاخلاق والعادات متولدة من طبيعة قطر الجهة ، واما ما زاد فطارئ من اختلاط سكان كل بقعة بمن جاورها " [١٧٥] .

ويمكن القول أن علي مبارك الذي عرض في كتاباته التاريخية لاثار مصر القديمة العظيمة المعجزة قد اتخذ في تفسيره لاسباب اقامتها وامكانيات بُناتها ومؤهلات تشيدهم لها الموقف العلمي الذي يجتذب الاعجار والاكبار ، فقبله نسب كثير من المؤرخين اقامة هذه الاثار الخالدة إلى الجن والشياطين عندما راوها فائقة ومتفوقة عن قدرات العلم والعمارة في العصور التي كتبوا فيها ، وبعده حتى عصرنا الراهن ، ينسبها كتّاب إلى قوم قد هبطوا من السماء ، فأقاموها ، ثم عادوا ثانية إلى السماء ، واما علي مبارك فانه يفسر ذلك الاعجاز العلمي والمعماري والحضاري الذي تجسده هذه الاثار تفسيرا علميا وانسانيا ، يقبله العقل المستنير ويزداد به ايمانا بقدرات العلم وامكانيات الإنسان [١٧٦] .

ولم يلجأ علي مبارك إلى نسبة ذلك التقدم إلى الجن والشياطين ، كما فعل كثير من المؤرخين القدامى ، ولا إلى الذين هبطوا من السماء ، كما يفعل مروجوا الخرافة المحدثون ، وانما اختار التفسير الانساني والعلمي لتلك الظاهرة الباحثة عن تفسير ، فقال أن الانسانية التي سبقت حادث الطوفان كانت قد بلغت في الحضارة شوطا كبيرا وشانا بعيدا ، وان في تكذيب الناس قبل الطوفان لكثير من الرسل والأنبياء الذين دعوهم إلى دين الله ، لدليل على أن هؤلاء المكذبين قد بلغوا من العلم والتقدم ما جعلهم على درجة من الاعتزاز والغرور الذي جعلهم يحاجون المرسلين ويسفهون دعوات الأنبياء [١٧٧] .

وتوحي قصة الطوفان بان النبي نوح (عليه السلام) وقومه قد وضعوا الوسائل والسبل التي تغلبوا بها على مخاطرة المدمرة وبأسه الشديد ، وفي ذلك دليل على بلوغ انسانية ما قبل الطوفان في العلم والمعرفة شأنا كبيرا ، واذا كان النبي نوح (عليه السلام) وقومه قد أنقذوا من الطوفان من كل زوجين اثنين ، وحفظوا من الغرق بذور كل النباتات ، واجناس كل الطيور والهوام والحشرات وسائر الاحياء ،

أفلا يكون المنطق مع القول بانهم قد حفظوا ثمرات العلوم والمعارف وأسرار التقدم الذي بلغته الإنسانية في ذلك الحين .

ويضيف علي مبارك عن هذا الموضوع قائلا : " ولابد أن تكون الحضارة بمكوناتها وعلومها ، قد نجت مع نوح وقومه من دمار الطوفان ، ولابد أن تكون هذه العلوم قد عادت إلى النمو والازدهار بعد الاستقرار والانتشار الذي اعقب الطوفان ، ولابد أن تكون مصر القديمة بحضارتها وتقدمها المعجز احدى ثمرات تلك العلوم التي جاءت اليها من حضارة ما قبل الطوفان عبر الذين نجوا من الغرق فيه " [١٧٨] .

وعندما يعرض علي مبارك المؤرخ ، بالتفسير لظاهرة النمو والازدهار الذي تحقق لبقايا هذه العلوم والمعارف على ارض مصر القديمة بالذات ، وللاسباب التي جعلت هذه الارض مهدا لنشأة علوم كثيرة والوصول إلى تطبيقات مدهشة يعود إلى القانون الذي نبهنا إلى عموميته وهو : انبعاث التقدم العلمي والحضاري من احتياجات الإنسان وصلاح البيئة التي يقطنها لذلك ، فمصر بلد زراعي ، لانه قد تكوّن ونشأ من النيل وفي ارتباط به ، ومن ثم كانت الزراعة والفلاحة هي الباعث على التقدم والاختراع والفكر والتفكير ، وهي الوعاء الذي رعى وطور كل فروع هذا الميدان ، فضرورات الإنسان المصري القديم ، واعتماده في سد حاجات هذه الضرورات على الفلاحة ، هو الذي اوصله وقاده إلى اكتشاف تلك المعارف والعلوم وتنميتها ، بل وهو الذين قاده إلى اكتشاف القوة الالهية الفاعلة في هذا الكون ، فعرفها وعرف الدين والتدين ، وسلك سبيل التوحيد ، فالدين هو الآخر معرفة وصل اليها الإنسان عبر العلوم والمعارف التي انشأها وحكم تطورها ، قانون انبعاث المعارف ونموها من ضرورة استجابة الإنسان لما لذاته ومجتمعه من احتياجات [١٧٩] .

ويعرض علي مبارك لهذه الحقيقة الهامة عندما يتحدث عن المؤثرات الاساسية التي تشكل ادراكات الإنسان والهاماته واخلاقياته وعاداته ، فعنده أن : " كل ما يكون للانسان من ادراكات والهامات واخلاق وعادات واعمال انما هي امور مكتسبة واردة عليه من قوة خارجة عنه وانفعالات تنطبع في ذاته من المؤثرات المكتنفة به واذا استقرانا احوال الإنسان وامعنا النظر في انواع عوارضه وجدنا المسلطات عليه في ادراكه وسائر احواله تنحصر في ثلاثة امور :

اولا : طبيعة البقعة التي نشأ فيها ، وكيفية عيشه في الارض التي تولد منها .

ثانيا : الدين الذي يسوقه إلى سعادته وكماله بحسب ذاته .

ثالثا : الحكومة السياسية التي تسوسه ، وتوقفه عند حده في تصرفاته [١٨٠] .

ويمكن أن نلمح عند علي مبارك المؤرخ مكانا عليا لمعيار (الاستقلال) الوطني بين المعايير التي حكمت الازدهار أو التخلف في البلاد ، وهو في هذا الباب يتقدم قلة من المؤرخين التي اهتمت اهتماما شديدا بهذا العامل ، وابصرت دوره في صنع احداث التاريخ التي مرت بالمجتمعات ، فالعدل عنده شرط للعمارة والتقدم ، ويستحيل أن تقوم العمارة ويثمر التقدم مع فقد الاستقلال ! وقد تميز علي

مبارك بالجرأة عندما طبق هذا القانون والمعيار فأبصر سلبيات الفتح العربي الاسلامي على عمران مصر ، ولكنه كان بريئا كل البراءة من اية شائبة للتعصب ضد العروبة أو الاسلام ، لانه قد مجّد عصور استقلال مصر الإسلامية عندما اعان فيها الاستقلال مع العدل النسبي على ازدهار العمران ، وعلي مبارك في موقفه هذا لا ينطلق من مقولات فكرية مسبقة ، وانما وهو المهندس ينطلق من دراسته لثروة مصر وعمرانها ، وصلاح زراعتها ومصادر غلتها ، ويتخذ خراجها ودخل حكومتها مؤشرا في هذا الميدان [١٨١] .

وكان المنهج الذي التزم به علي مبارك المؤرخ سببا إلى رفضه الكثير من الخرافات والمقولات التي شاعت على ألسنة العامة دون أن يكون لها سند قوي أو حقيقي من التاريخ الصحيح ، وقد كانت مصر ولا تزال مسرحا لكثير من هذه المقولات التي ربما نشأ بعضها وعاش وانتشر لاسباب سياسية تعلقت بالصراعات والمنافسات بين الاسر العربية المسلمة التي اقتتلت على الخلافة ، أو بين اقاليم الامبراطورية العربية الإسلامية ، فيقف مع حقائق التاريخ ويرفض بل وينقد المزاعم والاوهام ، فهو يرى في القول بدفن (عبد الرحمن بن عوف) في مصر " زعما يزعمه الناس وليس كذلك " [١٨٢] .

وينكر علي مبارك أن يكون (سيدي سارية الجبل) قد دفنت في مصر ، رغم أن (ابن جبير) قد ذكر مشهده في رحلته ، ويقول : " ولم نر في كتب التواريخ الصحيحة أن سيدنا سارية جاء إلى مصر ، فضلا عن انه مات بها ؟ " [١٨٣] ، وينكر علي مبارك أيضا وجود جثمان (زين العابدين علي بن الحسين) (عليهما السلام) في مصر ، ويصف ذلك الاعتقاد بأنه وهم ، فليس قبره في مصر ، بل في البقيع في المدينة المنورة [١٨٤] ، وهو ينكر وجود جثمان السيدة (زينب بنت علي بن أبي طالب) (عليهما السلام) في مصر ، ويقول : " اني لم أرَ في كتب التواريخ أن السيدة زينب بنت علي (ع) جاءت إلى مصر في الحياة أو بعد الممات ! " ، ويتبع تلك المقولات الشائعة بالتشكيك والتفنيد [١٨٥] .

ويستهجن علي مبارك تلك البدع وينكر تلك الخرافات ، ويقول : " وظاهر أن جميع هذه البدع لم يرد بها سنّة ولا شرع ، ويأباها العقل والانسانية ... انها اعتقاد فاسد من عقل كاسد ، يوقع صاحبه في الضلال ، ويؤديه إلى الاضلال ، وهي فعل قبيح وليس بصحيح ، وقد عمدت به البلوى في عصرنا بهذا القطر المصري ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم " .

الخاتمة :

أسهمت التوجهات الاصلاحية التي شهدتها مصر منذ بداية القرن التاسع عشر في تكوين نخبة مثقفة شكلت الارضية المناسبة لولادة هذه النخبة ، إذ اسمهت في تنبيه الاذهان وايقاض الافكار من السبات الذي عاشته في ظل السيطرة العثمانية ومن خلالها دخلت الكثير من علوم .

وقد كان لإصلاحات علي مبارك اثر كبير ومباشر ،إذ شملت اصلاحاته جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وكانت دراسته في اوربا تعد نقلة نوعية وإضافة جديدة إلى النهضة المصرية ، فقد اسهم وبشكل فاعل في نقل علوم ومعارف الغرب من خلال ترجمة الكتب الفرنسية ، وكذلك القيام بتسجيل انطباعاته ومشاهداته من خلال رحلته الدراسية فجمعها في مؤلفاته كما فعل من قبله الطهطاوي .

وأسهمت من جانب آخر عوامل عدة في تنامي الوعي السياسي والثقافي ولاسيما ما حدث من اصلاحات في عهد الخديوي اسماعيل شكل اسهاما في تطور الحركة الفكرية ، فضلا إلى ذلك فقد كان للمفكر والمصلح الكبير علي مبارك اثر كبير وعامل مؤثر في النهضة الفكرية المصرية وتطورها لما كان يلقيه من دروس وتوجيهات حتى انه عد الموجه الحقيقي لجيل من المفكرين المصريين وأبا للتعليم في تلك الحقبة .

الهوامش :

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق وتعليق ، عامر احمد حيدر ، المجلد الثاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٣ ، ص٦١٠ .

[2] أبي الحسين الرازي ، معجم مقاييس اللغة ، وضع حواشيه : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الاولى ، ١٩٩٩ ، المجلد الثاني ، ص١٧ .

[3] سورة البقرة : الاية ٢٢٠ .

[4] سورة القصص : الاية ١٩ .

[5] روبرت بالمر ، تاريخ العالم الحديث ، ترجمة : محمود حسين الامين ، مراجعة : جعفر خصباك ، مكتبة الوفاء ، الموصل ، ١٩٦٤ ، ص٩٦ .

[6] السيد رجب حراز ، عصر النهضة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٤م ، الفصل السابع .

[7] فاروق أبو زيد ، عصر التنوير العربي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١، ١٩٧٨م،ص١١-١٢.

[8] عبد الوهاب القيسي ، حركة الاصلاح في الدولة العثمانية وتاثيرها في العراق ١٨٣٩ – ١٨٧٧م ، بحث مقتبس من مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، العدد ٣ ، كانون الثاني ١٩٦١م ، ص١١١ .

[9] احمد عبد الرحيم مصطفى ، في اصول التاريخ العثماني ، دار الشروق ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢م ، ص١٧٢ .

[10] عمر طوسون ، البعثات العلمية في عهد محمد علي ، الإسكندرية ، ١٩٣٤م ، ص٨٤ .

[11] محمود الشرقاوي وعبد الله المشد ، علي مبارك حياته ودعوته وآرائه ، المصدر السابق ، ص١٦١ .

[12] المصدر نفسه ، ص١٦٢ .

[13] علي مبارك ، علم الدين ، ج١ ، الاسكندرية ، ١٨٨٢م ، ص٣٠٨ – ٣٠٩ .

[14] محمود الشرقاوي وعبد الله المشد ، علي مبارك حياته ودعوته وارائه ، المصدر السابق ، ص١٦٣ .

[15] علي مبارك ، علم الدين ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص٣١٨ .

[16] علي إبراهيم البحراوي، علي باشا مبارك اول وزير للمعارف وابو التعليم في مصر ، د.ط ، ص٦٤ – ٦٩.

[17] علي مبارك، الخطط التوفيقية، المطبعة الكبرى الاميرية بيولاف، مصر، ١٣٠٥هـ ، ط١ ، ج٩، ص٥٣-٥٩.

[18] محمد عبد الغني حسن ، حسن العطار ، نوابغ الفكر العربي ٤٠ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨م ، ص٧٤-٧٥ .

[19] المصدر نفسه ، ص ٧٥ – ٧٧ .

[20] علي مبارك ، الخطط التوفيقية ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص٦٣ – ٦٥ .

[21] المصدر نفسه ، ص ٦٦ – ٧٧ .

[22] محمد عمارة ، الاعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي ، الجزء الأول ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص٦٩-٧٠ .

[23] علي مبارك ، الخطط التوفيقية ، المصدر السابق ، الجزء السادس ، ص ٣ – ١٧ .

[24] علي مبارك،نخبة الفكر في تدبير نيل مصر،مطبعة وادي النيل، القاهرة، الطبعة الاولى، ١٢٩٧هـ،ص ٢٥-٢٨.

[25] علي مبارك ، الخطط التوفيقية ، المصدر السابق ، الجزء الاول ، ص ٧٧ .

[26] حسين فوزي النجار ، علي مبارك أبو التعليم ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٨٣ .

[27] علي مبارك ، علم الدين ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص٣١٠.

[28] علي مبارك ، الخطط التوفيقية ، المصدر السابق ، الجزء الاول ، ص ٤٩ – ٥١ .

[29] المصدر نفسه ، ص٥٢ .

[30] علي مبارك ، علم الدين ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ٣١٢ .

(٣١) علي مبارك ، نخبة الفكر في تدبير نيل مصر ، المصدر السابق ، ص٥ .

(٣٢) امين سامي ، تقويم النيل ، المجلد الثالث ، الجزء الثالث ، القاهرة ١٩١٦ – ١٩٣٦ ، ص١٤٥٢ .

(٣٣) علي مبارك ، نخبة الفكر في تدبير نيل مصر ، المصدر السابق ، ص ٢٧ – ٢٨ .

(٣٤) المصدر نفسه ، ص١٨٥ .

(٣٥) محمود الشرقاوي وعبد الله المشد،علي مبارك حياته ودعوته واثاره،مكتبة الانجلو المصرية،ط١ ١٩٦٢،ص١٧٥.

(٣٦) احمد امين ، زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، المصدر السابق ، ص٢٠٠ .

(٣٧) سؤدد عبد الحسين سبتي ، دور النخبة المثقفة في الحياة الفكرية والسياسية في مصر من١٨٦٩ إلى ١٩١٨م، اطروحة دكتوراه ، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٧ ، ص١٥٢ .

(٣٨) المصدر نفسه ، ص١٥٣ .

(٣٩) امين سامي ، التعليم في مصر ، القاهرة ، ١٩١٧م ، ص٥–٨ .

(٤٠) المصدر نفسه ، ص١٧ –٢٠ .

(٤١) امين سامي ، تقويم النيل ، المصدر السابق ، المجلد الثاني ، الجزء الثالث ، ص٧٩٢ .

(٤٢) المصدر نفسه ، المجلد الثاني ، الجزء الثالث ، المصدر السابق ، ص٩١٠ .

(٤٣) علي مبارك ، الخطط التوقيفية ، المصدر السابق ، الجزء الثالث ، ص٦٦ .

(٤٤) امين سامي ، التعليم في مصر ، القاهرة ، ١٩١٧م ، ص ٦٨ – ٦٩ .

(٤٥) علي مبارك ، الخطط التوقيفية ، المصدر السابق ، الجزء الثالث ، ص٦٧ .

(٤٦) امين سامي ، تقويم النيل ، المصدر السابق ، المجلد الثاني ، الجزء الثالث ، ص٨١٢ .

(٤٧) علي مبارك ، علم الدين ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ٢٤١ – ٢٤٢ .

(٤٨) حسين فوزي النجار ، علي مبارك أبو التعليم ، المصدر السابق ، ص ١١٦ .

(٤٩) علي مبارك ، علم الدين ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ٢٤٣ – ٢٤٥ .

(٥٠) المصدر نفسه ، ص ٢٤٦ – ٢٤٨ .

(٥١) حسين فوزي النجار ، علي مبارك أبو التعليم ، المصدر السابق ، ص ١١٦ .

(٥٢) علي مبارك ، علم الدين ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ٢٥١ .

(٥٣) محمد عمارة،علي مبارك مؤرخ ومهندس العمران،المجلد الأول،الجزء الثالث،القاهرة ١٩١٦–١٩٣٦، ص٣٨٥ .

(٥٤) المصدر نفسه ، ص٣٨٦ .

(٥٥) علي مبارك ، علم الدين ، المصدر السابق ، الجزء الثاني ، ص ٢٧٤ .

(٥٦) المصدر نفسه ، ص ٢٧٦ – ٢٧٧ .

(٥٧) علي مبارك ، الخطط التوفيقية ، المصدر السابق ، الجزء التاسع ، ص ٥٨ – ٦٠ .

(٥٨) علي مبارك ، علم الدين ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ١٦٤ .

(٥٩) محمود الشرقاوي و عبد الله المشد ، علي مبارك حياته ودعوته وارائه ، المصدر السابق ، ص٨٨–٨٩ .

(٦٠) محمد دري الحكيم، تاريخ حياة المغفور له علي مبارك، طبع بالمطبعة الطبية الدرية ، مصر ، ١٣١١هـ/١٨٩٥م، ص٤٨ – ٥١ .

(٦١) حسين فوزي النجار ، علي مبارك أبو التعليم ، المصدر السابق ، ص١٣٩–١٤٤ .

(٦٢) روضة المدارس ، العدد العاشر ، السنة الرابعة ١٨٧٣م، مقال بعنوان (فيما يتعلق بالنساء من تعريبات قلائد المفاخر في غريب عوائد الاوائل والاواخر ، ص٣٦–٤٠ .

[٦٣] علي مبارك ، علم الدين ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ١٩٩ .

[٦٤] فاروق أبو زيد ، الفكر الليبرالي في الصحافة المصرية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص١٧٧-١٨٠ .

[٦٥] عبد الكريم حسين الشباني ، الاتجاهات الفكرية عند رفاعة الطهطاوي ، رسالة ماجستير ، معهد الدراسات القومية والاشتراكية ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٨٩م ، ص .

[٦٦] علي مبارك ، علم الدين ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ٢٠١ .

[٦٧] المصدر نفسه ، ص٢٠٢ .

[٦٨] علي مبارك ، علم الدين ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ٢٠٤ .

[٦٩] المصدر نفسه ، ص ٢٠٦ .

[٧٠] علي مبارك ، علم الدين ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ٢٠٧ .

[٧١] المصدر نفسه ، ص ٢٠٨ – ٢١٠ .

[٧٢] علي مبارك ، مفاتيح الكنوز ، مجلة الازهر ، العدد ٢١ ، يونيو ١٨٩١م ، ص٢٣ ، نقلا عن كتاب محمود الشرقاوي و عبد الله المشد ، علي مبارك حياته ودعوته وارائه ، المصدر السابق ، ص١٧٩ .

[٧٣] سورة عبس ، الاية : من ٢٤ إلى ٢٩ .

[٧٤] سورة النحل ، الاية : ٧٨ .

[٧٥] سورة الجاثية ، الاية : ١٣ .

[٧٦] سورة إبراهيم ، الاية : ٣٢ .

[٧٧] سورة إبراهيم ، الاية : من ٣٣ إلى ٣٤ .

[٧٨] مجلة الازهر ، مقال ، عدد : المحرم من سنة ١٣٨١هـ/يونيو ١٩٦١م، نقلا عن محمود الشرقاوي وعبد الله المشد ، المصدر السابق ، ص١٨٢ .

[٧٩] علي مبارك ، العدل ، مجلة الازهر ، العدد محرم ١٣٨١هـ / يونيو سنة ١٩٦١م ، نقلا عن محمود الشرقاوي وعبد الله المشد ، علي مبارك حياته ، المصدر السابق ، ص١٨٣ .

[٨٠] علي مبارك ، علم الدين ، الجزء الأول ، المصدر السابق ، ص٣١٨ .

[٨١] محمود الشرقاوي و عبد الله المشد ، علي مبارك حياته ودعوته واثاره ، المصدر السابق ، ص١٦٤ .

[٨٢] علي مبارك ، علم الدين ، المصدر السابق ، الجزء الثاني ، ص ١٤٠ .

[٨٣] سعيد زايد ، علي مبارك واعماله ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٧م ، ص٤٥-٤٧ .

[٨٤] علي مبارك ، الخطط التوفيقية ، المصدر السابق ، الجزء السابع عشر ، ص ٦٤ – ٦٥ .

[٨٥] أبي الحسين الرازي ، معجم مقاييس اللغة ، وضع حواشيه : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، المجلد الثاني ، ص ٦٣٦ .

[٨٦] رفاعة رافع الطهطاوي ، تلخيص الابريز في تلخيص باريز ، المصدر السابق ، ص١٠٥ .

[٨٧] مجلة روضة المدارس ، العدد ٢١ ، السنة الخامسة ، ١٨٧٤م ، ص١٦ .

[٨٨] جمال الدين الأفغاني (١٨٣٩ – ١٨٩٦م) : ولد في اسعد اباد من اعمال كابل عاصمة افغان ، كان من بيت شرف وعلم ، ونسبه يتصل بالسيد علي الترمذي المحدث المشهور ، تعلم في كابل مبادئ العلوم العربية والتاريخ والفلسفة وعلوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه وعلوم رياضية ، سافر إلى الهند لتعلم العلوم الاوربية ، ثم إلى الحجاز عام ١٨٥٧م لاداء فريضة الحج ، شارك في حملة حصار هراة ، وهاجر إلى القاهرة للمرة الاولى عام ١٨٧٠م بعد حياة حافلة بالتقلبات في كابل ، من اوائل المنادين بالجامعة الإسلامية وله نظرة متقدمة في الدين والوطنية ، وفي سنة

١٨٨٥م سافر إلى اوربا ، واصدر مع تلميذه محمد عبده جريدة (العروة الوثقى)،والف كتاب للرد على الدهريين وهاجم الفلسفة المادية،وكذلك كتاب تتمة البيان والمحتصر في تاريخ الاذهان،واسس محفلا ماسونيا عام ١٨٧٦م ضم ٣٠٠ شخص،توفي بمرض السرطان.ينظر:جورج يانج، تاريخ مصر من عهد المماليك حتى نهاية حكم اسماعيل ، ترجمة علي احمد شكري ، ط١، القاهرة،د.ت ، ص٤١-٤٤ ؛ عبد المنعم الخفاجي ، مراكب الحرية في مصر الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٨م ، ص٧١ .

(٨٩) محمد عبده (١٨٤٩ – ١٩٠٥م) : ولد في قرية في محلة نصر ، وكان ابوه فلاحا ، انتسب إلى الازهر ، ثم تتلمذ على يد جمال الدين الافغاني ، تقلد بعض المناصب العلمية بين التدريس في المدارس الاميرية والتحرير في الوقائع المصرية ، والكتابة في الدوائر الرسمية ، تم نفيه إلى سوريا في ايام الاحتلال البريطاني ، وانشأ جريدة العروة الوثقى في باريس ، كان بارعا في العلوم الدينية والعقلية والفلسفية ، كان زعيم نهضة اصلاحية ، اهم كتبه الإسلامية والنصرانية . ينظر : جرجي زيدان ، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ،ج٢، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت ، ص٢٩٩ ؛ حميد الجميلي واخرون ، موسوعة أعلام العرب في القرن التاسع عشر والعشرون ، الجزء الأول ، ط١ ، بيت الحكمة ، بغداد ٢٠٠٢ ، ص٤٨١ .

(٩٠) محمد عبده ، جريدة الوقائع المصرية ، العدد ١٤٨٢ ، سنة ١٨٨١م ، نقلا عن فاروق أبو زيد ، الفكر الليبرالي في الصحافة المصرية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ص٦٧ .

(٩١) احمد لطفي السيد (١٨٧٢ – ١٩٦٣م) : ولد في قرية برفين وهو من رواد الفكر المصري المعاصر ، حاصل على بكالوريوس في الحقوق عام ١٨٩٤م ، شارك في الكفاح الوطني ، وتقلد منصب رئيس مجمع اللغة العربية سنة ١٩٤٥م ، كما تم تعيينه وزيرا للخارجية في وزارة اسماعيل صدقي ، توفي سنة ١٩٦٣م . ينظر : حسين فوزي النجار ، احمد لطفي السيد ، سلسلة الاعلام ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥م ، ص١٧ – ٣٠ .

(٩٢) علي مبارك ، علم الدين ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ٢٢ .

(٩٣) سعيد زايد ، علي مبارك واعماله ، المصدر السابق ، ص٢٩-٣٠ .

(٩٤) علي مبارك ، علم الدين ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ٢٣ – ٢٤ .

(٩٥) المصدر نفسه ، ص ٢٥ .

(٩٦) المصدر نفسه ، ص ٢٦ – ٢٧ .

(٩٧) جمال الدين الشيال،تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي،دار الفكر العربي،بمصر،١٩٥١م،ص٧.

(٩٨) عزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم في عصر محمد علي ، القاهرة ، ١٩٣٨م ، ص٣٢٨-٣٣٢ .

(٩٩) ز.ل. ليفين ، الفكر الاجتماعي والسياسي الحديث في لبنان وسوريا ومصر ، ترجمة : بشير السباعي ، ط١ ، دار ابن خلدون ، بيروت ، ١٩٧٨م ، ص٢٢ .

(١٠٠) جمال الدين الشيال ، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي ، المصدر السابق ، ص٩ .

(١٠١) محمد فؤاد شكري واخرون ، بناء دولة مصر محمد علي (السياسة الداخلية) ، ط١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٤٨م ، ص١١٠ .

(١٠٢) جاك تاجر ، حركة الترجمة في مصر خلال القرن التاسع عشر ، القاهرة ، د.ت ، ص١٠٦ .

(١٠٣) جمال الدين الشيال ، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي ، المصدر السابق ، ص١٦ .

(١٠٤) كلوت بك ، لمحة عامة عن مصر ، ترجمة : محمد مسعود ، مطبعة أبو الهول ، القاهرة ، ب.د ، الجزء الثاني ، ص٥٧٩ – ٥٨٠ .

(105) Bowring , op cit, p 140 .

(١٠٦) جمال الدين الشيال ، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي ، المصدر السابق ، ص٢٨ .

(107) Hamant,op,cit,t.H.p 165 .

(١٠٨) من وثائق عابدين ، دفتر ١١ (معية) رقم ٢٥٣ ، في ٨ ربيع الثاني ١٢٣٨هـ ، نقلا عن جمال الدين الشيال ، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي ، المصدر السابق ، ص٧١ .

(١٠٩) جمال الدين الشيال ، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي ، المصدر نفسه ، ص٧٢ .

(١١٠) المصدر نفسه ، ص٧٢ .

(١١١) الاب انطوان رفاييل زاخور : وهو اول المترجمين السوريين ، وذو شخصية فذه ، فقد رافق الحملة الفرنسية على مصر ، وكانت له جهود في الترجمتين الرسمية والعلمية ، فلم يرحل مع الحملة كما رحل غيره من السوريين بل بقي في مصر نحو سنتين اشتغل فيها سكرتير لرئيس طائفته الدينية الاب باسيليوس عطا الله ، عاد رفاييل إلى مصر سنة ١٨١٦م ، واتصل بمحمد علي ، إذ كان محمد علي يمهد السبيل لنقل علوم الغرب فقد كلفه محمد علي بان يضع قاموسا للغتين العربية والايطالية . لمزيد من المعلومات ينظر : جمال الدين الشيال،تاريخ الترجمة في مصر عهد الحملة الفرنسية ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٠م ، ص٤٤ .

(١١٢) يوحنا عنموري : وهو من المترجمين السوريين ومن اسرة عريقة من الاسر السورية ، فقد سافر إلى ايطاليا وتعلم فيها ، وكان يجيد اللغتين العربية والايطالية وكذلك فقد احتل المركز السامي بعد رفاييل في مدرسة الطب المصرية ، واحتل المركز الأول بعد وفاة رفاييل ، وقد ترجم سبعة كتب طبية منها (القول الصريح في علم التشريح) ، و (بتولوجية أي رسالة في الطب البشري) ، و (رسالة في علم الجراحة) وغيرها من الترجمات . لمزيد من المعلومات ينظر : المصدر نفسه ، ص٦٠ .

(١١٣) جورج فيدال : وهو سوري من مدينة حلب ، وقد التحق بمدرسة الطب عند انشائها وعمره (٣٢) سنة ، فقد كان فيدال يترجم من الفرنسية إلى العربية ، وقد اختص بترجمة كتب الاستاذ برنار ، (قانون الصحة) و (المنحة في سياسة حفظ الصحة) . لمزيد من المعلومات ينظر : المصدر نفسه ، ص٧٨ .

(١١٤) أوغسطين سكاكيني : سوري الاصل من مدينة دمشق ، فقد اقام مدة من الزمن في مارسيليا ثم سافر إلى تونس وتزوج من سيدة فرنسية هناك ، ثم سافر إلى مصر ، وعين مترجما في مدرسة الطب ، وترجم من الفرنسية إلى العربية كتاب (العمالة الطبية فيما لابد منه لحكماء الجهادية) من تأليف (كلوت بك) . لمزيد من المعلومات ينظر : المصدر نفسه ، ص٩١ .

(١١٥) يعقوب : وهو واحد من المترجمين السوريين ، فقد ترجم كتابين عن الفرنسية إلى العربية هما (دستور الاعمال الاقرباذبنية لحكماء الديار المصرية) و (كتاب الاقراباذين) ولم تكن له جهود في الترجمة في السنوات الاولى من تاريخ مدرسة الطب،وانما الحق بها بعد خروج فيدال وسكاكيني.لمزيد من المعلومات ينظر : المصدر نفسه،ص٩٧.

(١١٦) يوسف فرعون : وقد قام بالتدريس في مدرسة الطب البيطري في سنة ١٨٢٨م ، وكان يترجم الدروس التي يلقيها الاساتذة ، وكان على معرفة بالفرنسية والايطالية . لمزيد من المعلومات ينظر : المصدر نفسه ، ص١٠١ .

(١١٧) محمد فؤاد شكري واخرون ، المصدر السابق ، ص١١١ .

(١١٨) اكمل الدين احسان اوغلو، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة،ترجمة:صالح سعداوي ، ج١ ، اسلامبول ، ١٩٩٩م ، ص٣٨ .

(١١٩) شبل بدران، التعليم والتحديث،(دراسة في تاريخ ونظام التعليم في مصر)،دار الكتب،القاهرة، ١٩٨٤م ، ص٢١ .

(١٢٠) لويس عوض ، تاريخ الفكر المصري الحديث ، (الفكر السياسي والاجتماعي) ، الجزء الأول ، ط٣ ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٦٩م ، ص١٠٤ .

(١٢١) محمد فؤاد شكري واخرون ، المصدر السابق ، ص١١٥ .

(١٢٢) عبد الكريم الشباني ، اتجاهات التحديث عند رفاعة رافع الطهطاوي ، رسالة ماجستير ، معهد الدراسات القومية والاشتراكية ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٨٩م ، ص١٢٤ .

(١٢٣) ز.ل. ليفين ، المصدر السابق ، ص٣١ – ٣٢ .

(١٢٤) عبد الكريم الشباني ، الاتجاهات الفكرية عند المفكر رفاعة الطهطاوي ، المصدر السابق ، ص١٢٤-١٢٥.

(١٢٥) مالطبرون ، التعريبات الشافية لمريد الجغرافية ، تعريب رفاعة الطهطاوي ، المطبعة الخديوية ببولاق ، ١٢٥٠هـ ، ص٥ .

(١٢٦) ديبينج،قلائد المفاخر في غريب عوائد الاوائل والاواخر،تعريب رفاعة الطهطاوي،بولاق، ١٢٤٩هـ، ص٣ .

(١٢٧) رفاعة الطهطاوي ، تخليص الابريز (الاعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي) ، دراسة وتحقيق: محمد عمارة ، المؤسسة العربية للنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٣م ، ص٩٥ .

(١٢٨) ديبينج ، قلائد المفاخر ، المصدر السابق ، ص٢ .

(١٢٩) جمال الدين الشيال ، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي ، المصدر السابق ، ص٢٢٤ .

(١٣٠) محمد خلف الله احمد،معالم التطور الحديث في اللغة العربية وادابها،دار احياء الكتب العربية ، مصر ، ص٢٠ .

(١٣١) سعيد زايد ، علي مبارك واعماله ، المصدر السابق ، ص٨٩ .

(١٣٢) المصدر نفسه ، ص٩٠ .

(١٣٣) وهو مستشرق فرنسي من مؤرخي القرن التاسع عشر ، وهو مستشرق منصف للعرب وتاريخهم وحضارتهم ، وقد ترجم المرحوم الاستاذ عادل زغير هذا الكتاب مرة أخرى تحت عنوان (تاريخ العرب العام) ينظر : علي مبارك ، الخطط التوفيقية ، المصدر السابق ، ج٩ ، ص٥٨ .

(١٣٤) سعيد زايد ، المصدر السابق ، ص٩١ .

(١٣٥) سعيد زايد ، المصدر السابق ، ص٩٢ .

(١٣٦) اديب نصور ، مقدمة لدراسة الفكر السياسي العربي في مائة عام : من كتاب الفكر العربي في مائة سنة ، بحوث مؤتمر هيئة الدراسات العربية المنعقدة في تشرين الثاني ١٩٦٦م في الجامعة الامريكية في بيروت ، الدار الشرقية للطباعة ، بيروت ، ١٩٦٧م ، ص٦١ .

(١٣٧) إبراهيم عبده و دريه شفيق ، تطور النهضة النسائية في مصر من عهد محمد علي إلى عهد فاروق ، مطبعة التوكل ، مصر ١٩٤٥ ، ص١٠ .

(١٣٨) محمد رفعت ، التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٤م ، ص٥٦ .

(١٣٩) عمر الدسوقي ، في الأدب الحديث ، ج١ ، ط٧ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٦ ، ص٥٧ .

(١٤٠) جرجي زيدان ، تاريخ اداب اللغة العربية ، دار الهلال ، بدون تاريخ ، ج٤ ، ص٥٢ ؛ عبد اللطيف احمد حمزة ، الصحافة المصرية في مائة عام ، وزارة الثقافة ، المكتبة الثقافية ، ص١٣ – ١٤ .

(١٤١) إبراهيم عبده،تطور الصحافة المصرية واثرها في النهضتين الفكرية والاجتماعية ، القاهرة ، ١٩٤٤م ، ص٤٣ .

(١٤٢) دي طرازي ، الفيكونب فيليب ، تاريخ الصحافة العربية ، بيروت ، ١٩١٣م ، ج١ ، ص٤٩ .

(١٤٣) اشراف دانيال كرسيليوس واخرون ، دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني (اعمال الندوة العلمية التي اقامتها هيئة فوليرايت بالقاهرة) ، دار الافاق العربية ، القاهرة ، ١٩٩٦م ، ص١٦٣ .

(١٤٤) عبد الرحمن الرافعي ، عصر اسماعيل ، القاهرة ، ١٩٣٢م ، ج١ ، ص٢٦٠ .

(١٤٥) خليل صابات ، سامي عزيز ، بونان لبيب،حرية الصحافة في مصر ١٧٩٨-١٩٢٤م ، القاهرة،١٩٧٣، ص٢٥ .

(١٤٦) الازمة المصرية العثمانية : ظهرت بسبب مخاوف السلطان العثماني تجاه اطماع الخديوي اسماعيل ورغبته في اعلان استقلاله عن الدولة العثمانية ، ولاسيما بعد أن اشترك الخديوي في مؤتمر النقد الذي عقدته باريس سنة ١٨٦٧م دون الرجوع إلى السلطان ، وقيامه بسحب الجنود من كريت رغم الحاح الدولة العثمانية على ابقائهم ، كما قام بارسال وزيره (نوبار باشا) إلى اوربا لاجراء مفاوضات مع حكومتها من اجل الاصلاح القضائي ، كما أن سفر الخديوي إلى اوربا سنة ١٨٦٩م لدعوة ملوكها وحكامها لحضور حفل افتتاح قناة السويس ، زاد من غضب السلطان العثماني عليه ، ينظر : محمد فؤاد شكري ، مصر والسودان تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر ، دار المعارف ، مصر ١٠٥٨م ، ص١٠٨-١٠٩ .

(١٤٧) محمد صبري السوربوتي ، تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٦م ، ص١٤٣ - ١٤٤ .

(١٤٨) محمود متولي ، دراسات في تاريخ مصر السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، ط١،مصر، ص٤٩٢.

(١٤٩) عبد اللطيف احمد حمزة ، الصحافة المصرية في مائة عام ، المصدر السابق ، ص١٩ .

(١٥٠) الفيكونت فيليب دي طرازي ، تاريخ الصحافة العربية ، المصدر السابق ، ص٦٧ .

(١٥١) إبراهيم عبده،تطور الصحافة المصرية واثرها في النهضتين الفكرية والاجتماعية،المصدر السابق،ص٧٦-٧٧ .

(١٥٢) عبد اللطيف حمزة ، الصحافة المصرية في مائة عام ، المصدر السابق ، ص٢٩ .

(١٥٣) إبراهيم عبده،تطور الصحافة المصرية واثرها في النهضتين الفكرية والاجتماعية،المصدر السابق،ص٦١ - ٦٢ .

(١٥٤) مجلة روضة المدارس،السنة الاولى،العدد الأول،السبت ١٥ محرم ١٢٨٧هـ/١٧ ابريل ١٨٧٠م،ص٥ - ٦ ، نقلا عن كتاب دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني ، المصدر السابق ، ص١٦٧ .

(١٥٥) عبد الرحمن الرافعي ، عصر اسماعيل ، ج١ ، ص٢٤٦ .

(١٥٦) إبراهيم عبده ، تطور الصحافة المصرية واثرها في النهضتين الفكرية والاجتماعية ، المصدر السابق ، ص٦٢ .

(١٥٧) دار الوثائق ، دفتر ٤٢٨ ، ج٤ ، صادر الفروع والدواوين بديوان المدارس ، ص٩ ، رقم ٣٦٦ ، إلى حضرة مصطفى بك وهبي ناظر اقلام الداخلية في ٢٧ محرم سنة ١٢٨٧هـ / ٢٩ ابريل سنة ١٨٧٠م ؛ دفتر ٤٢٨ ، ج٤ ، ص٤٧ ، رقم ٣٨٠ ، إلى حضرة محمد افندي عثمان مترجم ديوان البحرية بالاسكندرية ، في ٧ صفر سنة ١٢٨٧هـ / ٩ مايو ١٨٧٠م ، نقلا عن كتاب دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي .

(١٥٨) دار الوثائق ، دفتر ٤٣٣ ، ج٣ ، وارد ديوان المدارس ، ص٢ ، رقم ١٨ ، من قلم الوقائع إلى ديوان المدارس ، في ٣ صفر سنة ١٢٨٧هـ / ٥ مايو ١٨٧٠م .

(١٥٩) سامي عزيز ، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزي ، القاهرة ، ١٩٦٨م ، ص٢٤- ٢٩ .

(١٦٠) خليل صابات وسامي عزيز ويونان لبيب ، حرية الصحافة في مصر ١٧٩٨-١٩٢٤، المصدر السابق، ص٣٢ .

(١٦١) اسد رستم ، مصطلح التاريخ ، المكتبة المصرية ، بيروت ، ٢٠٠٢ ، ط١ ، ص١٣ .

(١٦٢) المصدر نفسه ، ص١٢ .

(١٦٣) عبد الكريم الشباني ، اتجاهات التحديث عند المفكر رفاعة الطهطاوي ، المصدر السابق ، ص١٤٠ .

(١٦٤) المصدر نفسه ، ص١٤٦ .

(١٦٥) علي مبارك ، نخبة الفكر في تكوين نيل مصر ، المصدر السابق ، ص ٢٧-٢٨ .

(١٦٦) المصدر نفسه ، ص ٢٨.

(١٦٧) محمود الشرقاوي و عبد الله المشد ، علي مبارك حياته ودعوته وآثاره ، المصدر السابق ، ص١١٩.

(١٦٨) عماد عبد السلام رؤوف ، محاضرات كتابة التاريخ العربي في العصر العثماني ، المصدر السابق ، ص٢٠ .

(١٦٩) المصدر نفسه ، ص٢٠ .

(١٧٠) عماد عبد السلام رؤوف ، محاضرات التاريخ العربي ، المصدر السابق ، ص٢١ .

(١٧١) محمد عمارة ، علي مبارك مؤرخ ومهندس العمران ، المصدر السابق ، ص ٢١٦ .

(١٧٢) المصدر نفسه ، ص ٢١٨ .

(١٧٣) علي مبارك ، علم الدين ، المصدر السابق ، المسامرة (٣٤) (شذرات) ؛ الخطط ، الجزء الثاني ، ص ١٦ ، ٣٣ ، ٥٩ ، ١١٢ ، ١٢٠ .

(١٧٤) محمد عمارة ، الاعمال الكاملة لعلي مبارك ، المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٩٠ .

(١٧٥) المصدر نفسه ، ص٦٣٤ .

(١٧٦) المصدر نفسه ، المجلد الثاني ، ص ٢٢٥ .

(١٧٧) المصدر نفسه ، ص٢٢٦ .

(١٧٨) المصدر نفسه ، ص ٢٢٧ – ٢٣٠ .

(١٧٩) محمد عمارة ، علي مبارك مؤرخ ومهندس العمران ، المصدر السابق ، ص ٢٣٢ .

(١٨٠) علي مبارك ، نخبة الفكر في تدبير نيل مصر ، المصدر السابق ، الباب الثالث ، ص ١٧١ .

(١٨١) المصدر نفسه ، الباب الأول ، فصل فيما يتعلق بالنيل وفروعه ، ص١٠٥ .

(١٨٢) علي مبارك ، الخطط التوفيقية ، المصدر السابق ، الجزء الخامس ، ص١٢٣ .

(١٨٣) المصدر نفسه ، الجزء الخامس ، ص١٤ . عن (جامع سيدي سارية) .

(١٨٤) المصدر نفسه ، ص٦ . عن (جامع ومشهد زين العابدين (ع)) .

(١٨٥) المصدر نفسه ، عن الحديث عن الجامع الزينبي وجامع الكروي و جامع سيدي عقبة .

المصادر :

أولا : القران الكريم

ثانيا : الوثائق :

١. دفتر ١١ (معية) رقم ٢٥٣ ، في ٨ ربيع الثاني ١٢٣٨هـ ، (من ثائق عابدين) .
٢. دفتر ٤٢٨ ، ج٤ ، ص٤٧ ، رقم ٣٨٠ ، إلى حضرة محمد افندي عثمان في ٧ صفر سنة ١٢٨٧هـ / ٩ مايو ١٨٧٠م .
٣. دفتر ٤٣٣ ، ج٣ ، وارد ديوان المدارس ، ص٢ ، رقم ١٨ ، في ٣ صفر سنة ١٢٨٧هـ / ٥ مايو ١٨٧٠م .

ثالثا : الرسائل والاطاريح الجامعية :

١. سؤدد عبد الحسين سبتي ، دور النخبة المثقفة في الحياة الفكرية والسياسية في مصر ١٨٦٩ – ١٩١٨م ، اطروحة دكتوراه ، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٧ .
٢. عبد الكريم حسين الشباني ، اتجاهات التحديث عند المفكر رفاعة رافع الطهطاوي ، رسالة ماجستير ، المعهد القومي ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٨٩م .
٣. عبد الكريم حسين الشباني ، الاتجاهات الفكرية عند رفاعة الطهطاوي ، رسالة ماجستير ، معهد الدراسات القومية والاشتراكية ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٨٩م
٤. هادي جبار حسون ، الخديوي اسماعيل ودوره الاداري والسياسي (١٨٦٣ – ١٨٧٩م) ، رسالة ماجستير ، جامعة ديالى ، كلية التربية ، ٢٠٠٦ .

رابعا : الموسوعات :

١. حميد الجميلي واخرون ، موسوعة أعلام العرب في القرن التاسع عشر والعشرون ، ج١ ، ط١ ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٢ .

خامسا : الكتب العربية والمعربة :

١. إبراهيم عبده،تطور الصحافة المصرية واثرها في النهضتين الفكرية والاجتماعية،القاهرة، ١٩٤٤م .
٢. إبراهيم عبده و دورية شقيق ، تطور النهضة النسائية في مصر من عهد محمد علي إلى عهد فاروق ، مطبعة التوكل ، مصر ، ١٩٤٥م .
٣. ابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق وتعليق : عامر احمد حيدر ، المجلد الثاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣ .

٤.أبي الحسين الرازي ، معجم مقاييس اللغة ، وضع حواشيه : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ج٢ ، ١٩٩٩م .
٥.احمد امين ، زعماء الاصلاح في العصر الحديث ،
٦.احمد عبد الرحيم مصطفى ، في اصول التاريخ العثماني ، دار الشروق ، ط١ ، ١٩٨٢م .
٧.احمد عزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم في مصر (عصر اسماعيل) ، مطبعة النصر ، ١٩٤٥م .
٨.اديب تصور ، مقدمة لدراسة الفكر السياسي العربي في مائة عام ، بحوث في مؤتمر هيئة الدراسات العربية في تشرين الثاني ١٩٦٦م ، الجامعة الامريكية ، بيروت ، الدار الشرقية للطباعة .
٩.اسد رستم ، مصطلح التاريخ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠٠٢ .
١٠. اشراف دانيال كرسيليوس واخرون ، دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني (اعمال الندوة العلمية التي اقامتها هيئة فوليرايت بالقاهرة) ، دار الافاق العربية ، القاهرة ، ١٩٩٦م .
١١. اكمال الدين احسان اوغلو ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، ترجمة : صالح سعداوي،ج١،اسلامبول،١٩٩٩م .
١٢. امين سامي باشا ، تقويم النيل ، المجلد ١ ، ٢ ، ج٣ ، القاهرة ، ١٩١٦م .
١٣. امين سامي ، التعليم في مصر ، القاهرة ، ١٩١٧م .
١٤. جاك تاجر ، حركة الترجمة في مصر خلال القرن التاسع عشر ، القاهرة ، د.ت .
١٥. جرجي زيدان ، تاريخ اداب اللغة العربية ، مطبعة الهلال ، ج٤ ، (القاهرة : ١٩١٤م) .
١٦. جمال الدين الشيال ، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٥١م .
١٧. حسين فوزي النجار ، احمد لطفي السيد ، سلسلة الأعلام ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥م .
١٨. حسين فوزي النجار ، علي مبارك أبو التعليم ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧م .
١٩. خليل صابات و سامي عزيز و يونان لبيب ، حرية الصحافة في مصر ١٧٩٨ – ١٩٢٤م ، القاهرة ، ١٩٧٣م .
٢٠. ديبينج ، قلائد المفاخر في غريب عوائد الاوائل والاواخر ، تعريب : رفاعة الطهطاوي ، المطبعة الخديوية ببولاق ، ١٢٤٩هـ .
٢١. رفاعة رافع الطهطاوي ، تخليص الابريز في تلخيص باريز ، طبعة وزارة الثقافة والارشاد القومي ، القاهرة ، ١٩٥٨م .
٢٢. روبرت بالمر ، تاريخ العالم الحديث ، ترجمة : محمود حسين الامين ، مراجعة : جعفر خصباك ، مكتبة الوفاء ، الموصل ، ١٩٦٤م .

٢٣. ز.ل. ليفين ، الفكر الاجتماعي والسياسي الحديث في لبنان وسوريا ومصر ، ترجمة : بشير السباعي ، ط١ ، دار ابن خلدون ، بيروت ، ١٩٧٨م .
٢٤. سامي عزيز ، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانكليزي ، القاهرة ، ١٩٦٨م .
٢٥. سعيد زايد ، علي مبارك واعماله ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٧م .
٢٦. السيد رجب طراز ، عصر النهضة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٤م .
٢٧. شبل بدران ، التعليم والتحديث – دراسة في تاريخ ونظم التعليم في مصر ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٨٤م .
٢٨. عبد الرحمن الرافعي ، عصر اسماعيل ، ج١ ، القاهرة ، ١٩٣٢م .
٢٩. عبد اللطيف احمد حمزة ، الصحافة المصرية في مائة عام ، وزارة الثقافة ، المكتبة الثقافية .
٣٠. عبد المنعم الخفاجي ، مراكب الحرية في مصر الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٨م .
٣١. عبد الوهاب القيسي ، حركة الاصلاح في الدولة العثمانية وتاثيرها في العراق ١٨٣٩ – ١٨٧٧م ، ط١ ، ١٩٦١م .
٣٢. علي إبراهيم البحراوي، علي باشا مبارك اول وزير للمعارف وابو التعليم في مصر ، د.ط .
٣٣. علي مبارك،الخطط التوفيقية ، ط١، ج٩، المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق ، مصر، ١٣٠٥هـ .
٣٤. علي مبارك ، علم الدين ، ج١ ، الاسكندرية ، ١٨٨٢م .
٣٥. علي مبارك ، نخبة الفكر في تدبير نيل مصر ، ط١ ، مطبعة وادي النيل ، القاهرة ، ١٢٩٧هـ .
٣٦. عماد عبد السلام رؤوف ، محاضرات كتابة التاريخ العربي في العصر العثماني
٣٧. عمر الدسوقي ، في الادب الحديث ، ج١ ، ط٧ ، دار الكتاب القومي ، بيروت ١٩٦٦م .
٣٨. عمر طوسون ، البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس وسعيد ، طبعة القاهرة ، ١٩٣٤م .
٣٩. فاروق أبو زيد ، الفكر الليبرالي في الصحافة المصرية ، عالم الكتب ، القاهرة ، د.ت .
٤٠. فاروق أبو زيد ، عصر التنوير العربي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١ ، بيروت .
٤١. فيليب دي طرازي ، تاريخ الصحافة العربية ، المطبعة الادبية ، ج١ ، بيروت ، ١٩١٣م .
٤٢. كلوت بك ، لمحة عامة عن مصر ، ترجمة : محمد مسعود ، ج٢ ، مطبعة أبو الهول ، القاهرة .
٤٣. لويس عوض ، تاريخ الفكر المصري الحديث (من عصر اسماعيل إلى ثورة ١٩١٩م) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ج٢ ، ١٩٨٣م .
٤٤. مالطيرون ، التعريبات الشافية لمريد الجغرافية ، تعريب : رفاعة الطهطاوي ، المطبعة الخديوية ببولاق ، ١٢٥٠هـ .

٤٥.محمد دري الحكيم ، تاريخ حياة المغفور له علي مبارك ، طبع بالمطبعة الطبية الدرية ، مصر ، ١٣١١هـ/١٨٩٥م .

٤٦.محمد صبري السوربوني ، تاريخ مصر الحديث من محمد علي الى اليوم ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٦م .

٤٧.محمد عبد الغني حسن ، حسن العطار ، سلسلة نوابغ الفكر العربي ، ٤٠ ، دار المعارف في مصر ، ١٩٦٨م .

٤٨.محمد عمارة،الاعمال الكاملة لعلي مبارك ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١، ١٩٧٩م .

٤٩.محمد عمارة، علي مبارك مؤرخ ومهندس العمران، دار المستقبل العربي بمصر، ط١، ١٩٨٤م .

٥٠.محمد فؤاد شكري،بناء دولة مصر محمد علي،السياسة الداخلية،ط١،دار الفكر، القاهرة، ١٩٤٨م .

٥١.محمد فؤاد شكري ، مصر والسودان – تاريخ وحدة وداي النيل السياسية في القرن التاسع عشر ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٨م .

٥٢.محمود الشرقاوي و عبد الله المشد ، علي مبارك حياته ودعوته واثاره ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط١ ، ١٩٦٢م .

٥٣.محمود متولي،دراسات في تاريخ مصر السياسي والاقتصادي والاجتماعي،ط١، مصر ، ١٩٨٥م.

سادسا : المصادر الاجنبية :

1. Bowring . op. cit, p 140 .
2. Hamont . op . cit, t.H.p 165 .

سابعا : البحوث والدوريات :

١. محمد عبده ، جريدة الوقائع المصرية ، العدد ١٤٨٢ ، سنة ١٨٨١م .

ثامنا : الصحف والمجلات :

١. مجلة روضة المدارس المصرية ، العدد الأول ، العدد ٢١ ، السنة الخامسة ، ١٨٧٤م .